

**الأنبياء والرسل عليهم السلام
ضحايا الظلم والعدوان
(دراسة قرآنية)**

بقلم
د. محمد رفعت زنجير
عضو هيئة التدريس بجامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا،
والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا سابقاً

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى من أتبعهم بحق إلى يوم الدين.

وبعد: فإن علم التاريخ ودراسة سير الأنبياء والرسل ﷺ من أهم العلوم التي ينبغي العناية بها، واستخلاص تجارب البشرية من خلالها، لنتمكن من استشراف المستقبل وصناعته بعد الاستفادة من تجارب الماضي، والخبرات البشرية السالفة على وجه الأرض.

وتاريخ البشر برمته لا يعدو أن يكون إلا صراعاً بين الحق والباطل والخير والشر إلى يوم القيامة، ولذلك يمكن استخلاص النتائج الهامة منه في صنع مستقبل الإنسان، وتفسير الأحداث التي يعيشها، والصراعات التي يمرُّ بها.. فعندما أراد الله أن يخلق الإنسان، تعجبت الملائكة من ذلك،

فهي لم تتصور الأرض ستكون بعد خلق الإنسان إلا بقعة من دماء يفسد فيها الأشرار، بيد أن الله تعالى أبعد عنها هذا التصور، حين بين أن هنالك في علمه شيئاً آخر غير هذا الشر الذي توجّست منه الملائكة، فهنالك بشر سيصارعون هذا الشر، وسيحاولون الإصلاح، وسيوجهون سفينة البشرية نحو مرفأ الأمان، والمتمثل بالفطرة المستجيبة لنداء الخالق الكبير، هذا ما تصوّره الآية التالية في حوار جميل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في مقدمة الرجال العظماء في هذا العالم، فهؤلاء جندهم الله تعالى من بين عباده ليصلحوا مسار الحياة، ويوجهوا البشرية نحو الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، وإنها لمهمة شاقة تحتاج إلى مزيد من الجلد والصبر والتضحيات، وقد بذل الأنبياء والرسل ﷺ أموالهم وأرواحهم في سبيل الدعوة إلى الله، وتعرّضوا لمختلف ضروب المحن والأذى، وتركوا بلادهم مهاجرين إلى الله، وقاسوا ما قاسوا من أجل تحقيق منهج الله وميزان العدالة ونصرة الحق على سطح الأرض، وهذا بحث يحكي قصة الصراع بين الأنبياء ﷺ وأقوامهم، وما لاقوه من العنت والمشقة، والعدوان والأذى، وقد كتبت من خلال معاشتي للقرآن الكريم في أحد مواسم شهر رمضان المعظم، وأرجو من الله القبول والتوفيق، وسوف نتناول في المقدمة ثمة عناصر تتعلق بالبحث وهذا أولها:

أولاً: قصة الصراع بين الحق والباطل

خلق الله سبحانه الخلق لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقد كرم الإنسان على ما سواه من المخلوقات، فأمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا باستثناء إبليس الذي كان يعيش معهم بيد أنه من الجن، وكان سبب رفضه للسجود حسده



لآدم ﷺ، وادعاؤه بأنه خير من آدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]، وقد ازداد إبليس حقداً على آدم فسوّل له ولزوجه الأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها، وكانت النتيجة خروج الجميع من الجنة والهبوط إلى الأرض، وقد حذرنا الله من إبليس وغوايته، قال تعالى: ﴿يَبْتَغِيْءُ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

والعاقِل من عبد الله وحده، ولم يتبع ما يأمره به الشيطان، أو ينطلق وراء هواه ليعبده، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣].

ثانياً: احترام العقل الإنساني

نصب الله سبحانه في السماء والأرض والنفس الإنسانية آيات كثيرة تدلُّ على ربوبيته ووحدانيته، وهذه الآيات كافية لترشد من يتأملها إلى الصراط المستقيم، ولم يشأ - سبحانه - أن يقهر الناس على اتباع دينه، وذلك احتراماً للعقل الإنساني، وللقرار الفردي لكل إنسان، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقد وضع الله الشواهد والبيّنات الدالة على الحق، بيد أنه لم يلزم البشر بحتمية الهداية والاتباع لنهجه القويم، قال تعالى على لسان نوح ﷺ: ﴿قَالَ يَبْقَوُوا آرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَدَيْنِ مِنَ رَبِّي إِنَّنِي رَحْمَةٌ مِّنْ عِندِهِ فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمُ الْآلُومُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرَاهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [مُود: ٢٨].

وينبّه الله ﷻ رسوله الكريم إلى أن وظيفته تذكير الناس وليس إلزامهم بالهدى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩].

ثالثاً: الناس حزبان

وقد انقسم الناس أمام الدين الحق ودعوة الأنبياء ﷺ إلى حزبين:

الأول: حزب الله، وهو الحزب الذي يمثل بأوامر الله ونواهيه، ويتميز بمنهج واضح، وعقيدة ثابتة، ويشمل أتباعه الأنبياء والمرسلين ﷺ وأتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وهؤلاء قال الله فيهم: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وهذا الحزب دينه الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمَةُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، والإيمان في هذا الحزب واجب بجميع الأنبياء والمرسلين ﷺ، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ومحمد ﷺ هو خاتمهم وورثتهم كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، والكفر بأحد الأنبياء ﷺ هو كفر بهم جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [١٥٠] أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

والثاني: حزب الشيطان، ويشمل كل جماعة أو فرقة أو فرد لا يتبع منهج الله، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]، وهذا الحزب أتباعه فرق كثيرة من أهل الباطل، كالمشركين، والمنافقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠] ويدخل فيه الكافرون من أهل الكتاب ممن لا يؤمن بالنبي محمد ﷺ، وذلك لأن الكفر بالنبي الخاتم الذي بشرت به الأنبياء ﷺ هو كفر بهم جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] ويدخل فيه أيضاً الملاحدة ممن لا يؤمنون بدين، وغير ذلك من الملل والنحل.

رابعاً: عقلية طاغية وتفكير عقيم

وقد وقف حزب الشيطان موقفاً سلبياً من الأنبياء والرسول ﷺ وأتباعهم، ففسروا النبوة بأنها ضرب من السحر أو الجنون، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴿٥٦﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣]، ولم يتنبهوا للآيات الدالة على الدين والتوحيد، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُذَّبًا يَأْتُوا بِهَا﴾ [الأنعام: ٢٥]، وعطلوا حواسهم التي وهبهم الله إياها، فلم يروا الحق ولم يسمعه ولم يفقهوه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَمْ يَفْقَهُوا قَوْلَ اللَّهِ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَمْ أَهِنُ لَهَا سَمْعُكُمْ وَلَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفٰٔقِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقد عاش هؤلاء على الأرض يمارسون المأكول والمشرب والجنس كما تعيش البهائم التي لم تزود بحواس التأمل والتفكير، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنفال: ٥٥].

خامساً: رفض مطلق للحق

ورغم بزوغ شمس الحق من مكة، فإن كفار قريش رفضوا الإيمان به، وقالوا بلغة لا تخلو من التحدي: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطَرْ عَلَيْنَا جِبَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وقد كان السبب في الرفض هو الحسد والهوى، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١]، وكذلك وقف كثير من أهل الكتاب الموقف ذاته، وليس ثمة سبب لذلك إلا الحسد الذي كان أول من ابتلي به إبليس ثم شاع بين الناس فيما بعد، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَاصْصَبُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩].

سادساً: إدانة ظالمة للإيمان والمؤمنين

وهؤلاء الذين رفضوا الإيمان، راحوا ينظرون للإيمان وكأنه تهمة أو جريمة، لأن الإيمان يحزّر صاحبه من سلطة الطواغيت كلها، وفي هذا تهديد لمصالحهم ونفوذهم الاجتماعي، ولو كان الإيمان بالله الواحد القهار جريمة - كما يزعمون - فالمسؤول عنها صاحبها وليس المشركون، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (سبأ: ٢٥)، وربما تولدت في نفوسهم مشاعر النقمة على المؤمنين دونما سبب، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِفُونَ بِنَا إِلَّا أَنْ أَمَّا يَإِلهَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٥٩)، وأبرز مشاعر العداء تلك التي تفيض بها قلوب اليهود والمشرّكين، قال تعالى: ﴿لَنَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢).

سابعاً: رفض التعايش السلمي

تدفع مشاعر العدوان حزب الشيطان إلى رفض التعايش السلمي مع حزب الله في مجتمع واحد، فلا يقبلون بالتعايش في مجتمع واحد تحت شعار ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦)، لأنهم لا يؤمنون بالحرية وقبول الآخر أساساً، ولذلك يسعون للعدوان وإخراج المؤمنين من أوطانهم، قال تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَكُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣]، ولم يكن رسول الله ﷺ ليرغب في الهجرة من مكة، لولا أنه اضطر لذلك، روى عبدالله بن عدي بن حمراء رضي الله عنه، قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة - موضع بمكة - فقال: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت»^(١).

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، وإسناده صحيح، انظر: مشكاة المصابيح للتبريزي بتحقيق الألباني (٨٣٢/٢)، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٥/١٩٨٥م.



وكما أخرج الرسول ﷺ، فقد أخرج أصحابه من وطنهم، ووقع عليهم الظلم والعدوان، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ﴾ [الأنفال: ٢٦].

والإخراج منهج متبع لحزب الطاغوت مع جميع الرسل والأنبياء ﷺ، ولذلك قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: «يا ليتني فيها جذعاً - أي شاباً قوياً - يا ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك». فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجني هم؟». قال: «نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي»^(١).

ثامناً: المسارعة في العدوان

يرفض حزب الله البدء بالعدوان، فهو حزب يحمل رسالة السلام والخير امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، بيد أن حزب الشيطان لا يألو جهداً ببذل أقصى درجات العدوان والمصارعة إليه، قال تعالى: ﴿وَرَبِّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحَّةُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢]، وهو يستخدم شتى الأساليب الإرهابية في عدوانه على المؤمنين، وهنا يثار سؤال: ما هو الإرهاب الذي يرتكز عليه العدوان؟ وكيف يتبدى؟

للإجابة على هذا السؤال نبدأ أولاً بتعريفه من حيث اللغة: الإرهاب يرجع في اللغة إلى أصل ثلاثي وهو رهب كعلم، ومعناه: خاف، ورهبوت خير من رحموت: أي لأن ترهب خير من أن ترحم، وأرهبه واسترهبه: أخافه، والمرهوب: الأسد^(٢).

فالإرهاب إذاً يرجع إلى الخوف، والخوف يحصل بأسباب كثيرة، يبدأ بالأمور النفسية، فقد يخاف الإنسان مثلاً: من تكذيب الآخرين له إذا حمل

(١) من حديث متفق عليه عن عائشة، انظر: مشكاة المصابيح للتبريزي بتحقيق الألباني (١٦٢٤/٣).

(٢) انظر: القاموس المحيط، مادة (رهب).

لهم نبأ صادقاً، أو أن يتسبب هذا النبأ بازدرائه وتبكيته، وقد يخاف من أن يقدم شهادة الحق في محكمة مثلاً لما سيتبعها من أذى، فالخوف من التكذيب والازدراء ونحو ذلك هو أدنى درجات الإرهاب ونسميه بالإرهاب النفسي، وقد يخاف الإنسان من أن يتحول التكذيب إلى تشهير دائم فيتطور الإيذاء النفسي إلى إيذاء إعلامي واجتماعي، وقد يقاطع الناس هذا الإنسان اقتصادياً، فيتحول الضرر من معنوي إلى حسي، مما يتسبب له بالفقر والضرر، وفي خطوة أخيرة قد يحاولون إيقاع الأذى الجسمي به أو بأهله وضيوفه، وهنا يدخل الإرهاب مرحلة خطيرة وهي مرحلة التصفية والإبادة، مما يبرر لهذا المتضرر بالدفاع عن نفسه حفاظاً على حقه في الحياة.

من هذه المقدمة نستطيع تعريف الإرهاب بأنه: هو إيقاع الأذى المادي أو المعنوي بالآخرين ورفض الاستماع إليهم أو التحوار معهم، ويبدأ الأذى بالتكذيب والتشهير، وينتهي بحرب الإبادة والتصفية الجماعية، وبين هاتين المرحلتين مراحل كثيرة من العدوان الإعلامي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي.

ومن آثار الإرهاب مقابلة الحجة بالسوط، والحق بالسيف، والحقيقة بالجلد، إذ ينطلق الإرهاب من فكرة رفض التعايش مع الآخر، وينتهي بالتصفية الجسدية ومحاولة الاستئصال الدموي لذلك الآخر ولو كان نبياً مرسلأ مثل موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

تاسعاً: شبهة وردّها

وردت مادة «رهب» ومشتقاتها في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً، منها: الرهب ورهبانية ورهبان وغير ذلك^(١)، ولم ترد بمعنى الأمر بإرهاب العدو أبداً، وإنما وردت لتعليل الإعداد لملاقاة الأعداء في

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقى، مادة (رهب).

المعركة، وذلك موضع واحد من الذكر الحكيم، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والإرهاب المقصود هنا يكون في المعركة، فقد أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة^(١)، ومعلوم بأن المعارك كلها تهدف إلى كسب الحرب وإرهاب العدو وإحراز الغنائم، فالحرب ليست لعباً، والقوي هو الذي ينتصر في النهاية، لذلك تحرص الدول والجيوش جميعاً على كسب المعارك منذ الجولة الأولى، وبثّ الرعب في نفوس أعدائها، وهذا ما أراده القرآن، ولم يرد قط إرهاب الآمنين، أو تصفية الخصوم بالأساليب الغادرة كما يفعل الطواغيت في الأرض، لأن المبدأ الذي قام عليه الدين احترام حقوق الآخرين في العقيدة والحياة الكريمة والمشاركة الفاعلة في المجتمع، وعدم البدء بالعدوان على الآخرين، يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ اتَّعَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) [الشورى: ٣٩-٤٢].

عاشراً: جذور العدوان

العدوان يبدأ من الناحية النفسية وينتهي بالتصفية الجسدية، وهو يرتكز أساساً على فكرة الإرهاب، وأول من ابتكر الإرهاب النفسي هو إبليس الذي رفض السجود لآدم زاعماً بأنه من عنصر النار الذي يفضل الطين الذين خلق منه آدم، وهذه حجة واهية أراد إبليس من خلالها تبرير خروجه عن الأمر الإلهي، وأن يوهم الملائكة وآدم أنه على حق في عصيانه للأمر الإلهي، وإلا فالطين فيه عنصر النار وليس في النار عنصر الطين، فيكون الطين

(١) مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (١١٥/٢).

أشمل من النار. وأول من ابتكر الإرهاب الحسي ضد الغير هو قابيل، فهو الإرهابي الأول على وجه الأرض، حين حسد أخاه هابيل، وتخلص منه بالقتل، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة: ٢٧-٢٨]، ويتحمل قابيل مبتكر الإرهاب المادي على وجه الأرض وزراً من كل جريمة تقع من بعده، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سنّ القتل»^(١).

أحد عشر: ماذا يريد حزب الشيطان؟

كل ما يريده حزب الشيطان التمتع بهذه الدنيا بدون حدود ولا قيود شرعية، قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَن قَوْلِي عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن مَّلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْتَدَى ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠].

وليس ثمة شيء يحقق لحزب الشيطان ما يريد إلا حكم الجاهلية، وهو حكم الهوى والضلال، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

اثنا عشر: الوصاية على الناس

ولأن حزب الشيطان يريد التمتع بالحياة، ويرفض التعايش مع أهل الإيمان، فإنه يريد فرض وصايته على الناس بالقوة، ولو أدت هذه الوصاية إلى استئصال شريحة كبيرة من الناس بقتل أبنائهم واستبقاء نسائهم للخدمة

(١) أخرجه الجماعة سوى أبي داود، انظر: مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني،



كما فعل فرعون ببني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُوءَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: ٢٣، ٢٥].

ثلاثة عشر: صراع إلى يوم القيامة

والصراع بين حزب الله وحزب الشيطان قائم إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، فالله سبحانه يدفع أذى الشر والطاغوت بأنبيائه وأوليائه، والهدف الذي يسعى له حزب الشيطان من حرب الدعوة إطفاء هذه الشعلة الإلهية التي تثبت الأمل والحياة في نفوس المعذبين على وجه الأرض، وهو هدف لا يمكن تحقيقه مهما أوتي الطاغوت من قوة وعتاد، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

أربعة عشر: الأنبياء والرسل ﷺ جميعاً ضحايا العدوان

نتيجة لفكرة رفض التعايش مع الآخرين، اشتعلت نار العداوة بين رؤوس حزب الشيطان من جهة والأنبياء والرسل ﷺ من جهة أخرى، فلا يخلو نبي من عدو يترصد به، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١].

وحسبنا أن نعلم بأن موسى وقومه كانوا ضحايا البطش الفرعوني لمدة طويلة، وحاول فرعون أن يستأصل موسى ﷺ ومن معه حين اتبعهم للبحر، وعيسى وأمه ضحايا الافتراء من أعدائهما، وقد سعى أعداء عيسى لقتله ﷺ لولا أن نجاه الله منهم، ومحمد ﷺ مات بتأثير الشاة المسمومة التي أهدتها إليه امرأة يهودية في خيبر.

والنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الحق والباطل، ولهذا الاستئصال الذي يمارسه حزب الشيطان ضد حزب الله في الدنيا هي في يوم الدين، فالدنيا هي الشوط الأول من رحلة الإنسان، والآخرة هي الشوط الأخير الذي تتحدد فيه النتائج، ويكون فيه العقاب الأبدي للطغاة، قال تعالى:

﴿يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سُرَابِلُهُمْ مِنْ فَطْرَانٍ وَتَقَشَّى وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾

[إبراهيم : ٤٨-٥١].

وأما حزب الله فسينالون الثواب الكريم من رب رحيم، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤١﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ يُخْوِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف: ٤٢، ٤٣].

وإنها لفرصة أخيرة لحزب الشيطان أن يكف عن عدوانه وظلمه تجاه الأنبياء عليهم السلام وحملة ميراثهم قبل فوات الأوان، فإن العقاب قادم لهؤلاء



الاستصاليين الذين يريدون وأد الإيمان وأهله، ولكن الله بالمرصاد لهم، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُيبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [التحل: ٤٥-٤٧].

وهذا البحث قد جاء لبيان أساليب حزب الشيطان والمكون من أعداء الرسل والأنبياء ﷺ في العدوان على حزب الله والمتمثل بالرسل والأنبياء ﷺ وأتباعهم من المؤمنين، وذلك من خلال آيات الذكر الحكيم وفق منهج علمي استقرائي، وهو مكون من خمسة مباحث وخاتمة.



المبحث الأول:

الحرب النفسية

الحرب النفسية هي مقدمة لسائر الحروب الأخرى التي يشنها الطواغيت ضد الأنبياء والرسل ﷺ، بل هي قاعدة الحروب جميعاً، وتشمل هذه الحرب عناصر عدة، من ذلك:

أولاً: احتكار الحقيقة

عندما يدّعي أعداء الرسل ﷺ بأن الحقيقة عندهم، وأنها ملك يديهم، فكانهم يقولون للمؤمنين بلسان الحال فضلاً عن المقال: أنتم لستم على شيء، تضيعون أعماركم فيما لا طائل من ورائه، وعليكم أن تتبعونا وتنبذوا ما في أيديكم من ميراث النبوة، وفي هذا الصدد تدّعي طوائف ممن انحرفوا عن هدي الرسل ﷺ بأنهم أصفياء الله، وبيالغون أكثر فيدّعون القرابة والنسب إلى الله تعالى الله عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

وبيالغون في باطلهم حين يطلبون من الآخرين اتباعهم في غيهم وترك الملة الإبراهيمية المستقيمة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وهذه الطوائف تقوم بكتمان الحق الذي يعرفونه جيداً كما قال تعالى:



﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وهم جراء هذا الفعل الشنيع يستحقون لعنة الله وغضبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لَئِيْلٌ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

والباعث على كتمان الحقيقة هو المصالح المادية العاجلة التي تجعلهم يشترون دينهاهم بآخرتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْهُمُ الْكِتَابَ وَيُحَرِّفُونَهُ بِهٖ ثُمَّ قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

ثانياً: تزيف الحقائق

تزيف الحقائق أو لبسها على الناس هو ديدن حزب الشيطان الذي يكره الحق، قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَذَّبُوهُ لَئِيْلٌ كَذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

فالمحرِّفون من أهل الكتاب مثلاً يتعمدون مزج الحق بالباطل ليلتبس الحق على أعين الناس، قال تعالى: ﴿يَتَأَمَّلِ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]، ربما عمدوا إلى إظهار الإيمان بمحمد ﷺ ثم تراجعوا عنه، وذلك بغية زرع الشك في قلوب المؤمنين، ومن ثم ردّتهم عن دينهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

والتذبذب بين الكفر والإيمان هو ديدن طائفة أخرى من غير أهل الكتاب سميت بالمنافقين، وهي فرقة احتارت بين مصالحها ودينها، ولم تجد لها موقعاً ثابتاً في معسكر الكفر أو الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣]، وقال أيضاً

مصوراً خداع هذه الفرقة وضلالها: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ
الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا
أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة: ٩، ٨].

وتعتمد هذه الفرقة على بث الإشاعات والرعب في قلوب المؤمنين
لتشبيطهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَا يَخُونُ
وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل
عمران: ١٦٨]، وتحاول هذه الفرقة أن تبحث عن مكاسبها المادية بأية طريقة كانت،
يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَدَّبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ
كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ تَسْتَحِذْ عَلَيْنَا وَتَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١].

ويتجلى تزيف الحقائق في صور كثيرة، وفي مقدمتها: الشرك بالله،
وهو أكبر الكبائر وأسا الذنوب، كأن ينسب لله ولد تعالى الله عن ذلك،
وقد فعل هذا اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ
وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَسَلِّمُوا لِلَّهِ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠].

ومن ذلك صرف العبادة لغير الله، وهو من أنواع الشرك، مثل:

□ مظاهر الطبيعة المختلفة، مثل السجود للشمس، وهكذا كان قوم سبأ
﴿إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَنَلُّكُمُ وَوُتِّتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا عَزَّزْتُ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا
وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الثلث: ٢٣، ٢٤].

□ أو صرفها للأصنام والطغاة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أُنْدَادًا يُحَوِّثُهُمْ كُحْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، قال
الزمخشري في تفسير الآية: «أنداداً: أمثالاً من الأصنام، وقيل: من الرؤساء
الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم»^(١).

(١) الكشاف (٢١١/١).



ولا يتوزع حزب الباطل أن يزكي نفسه، وأن يصرف العبادة لغير الله، وأن يفضل أهل الشرك على أهل التوحيد، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُلْقَمُونَ قِتِيلًا ۖ أَنْظَرُ كَيْفَ يَفْقَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ۖ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْعَنُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۖ﴾ [النساء: ٤٩-٥١]، وقد نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى^(١)، والجبث: الأصنام وكل ما عُبد من دون الله، والطاغوت: الشيطان^(٢).

ومن تزيف الحقائق: الأمر بعبادة غير الله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَنْعْبُدَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۖ﴾ [الزمر: ٦٤]، وكذلك الاشتزاز من ذكر الله وحده، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآخِرَتِهِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۖ﴾ [الزمر: ٤٥].

ومن تزيف الحقائق: الإلحاد في أسماء الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۖ﴾ [الفرقان: ٦٠].

ومن تزيف الحقائق: الإلحاد في صفات الله ﷻ، أو وصفه بما لا يليق به سبحانه كالفقير مثلاً، وقد ادعى ذلك اليهود، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاكُمْ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُو قَرْبَةِ الْعَذَابِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٨١]، أو وصفه بالبخل تعالى الله عن ذلك حيث قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعُنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۖ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومن ذلك أيضاً طلب رؤية الله جهرة، وجعلها سبيلاً وحيداً لليقين،

(١) الكشف للزمخشري (١/٥٢٠).

(٢) المصدر السابق (١/٥٢١).

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٦١﴾ [الفرقان: ٢١].

وربما طلب بعضهم من النبي ﷺ أن ينزل لهم كتاباً محسوساً من السماء استهزاء وعتواً، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣].

ومن أسوأ صور تزيف الحقائق تحريف كلام الله المنزل من السماء، وهو ما عمد إليه بعض أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَدٍ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَغْلِبُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ [البقرة: ٧٥].

وسبب هذا التحريف مصلحة دنيوية عاجلة تتمثل في مكسب مادي بسيط كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ [البقرة: ٧٩]، ولا يخفى بأن التبديل في دين الله وكتبه ظلم يستحق أشد العقاب، ولذلك قال تعالى مندداً بما فعله بعض أهل الكتاب: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ [البقرة: ٥٩].

ومن ذلك الافتراء على الله، ونسبة الأمر بفعل الفواحش إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ [الاعراف: ٢٨]، ويدخل في الافتراء التشريعات الباطلة التي لم يأذن بها الله، قال تعالى في شأن طائفة من أهل الكتاب: ﴿أَتُحْذَرُوا أَجْزَاءَهُمْ وَرُءُوسُهُمْ أَنْ يَزَكِيَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [التوبة: ٣١].

وقد دأب حزب الشيطان على المكر والدهاء لتضليل الناس وغوايتهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ أَكْثَرَ مُّجْرِمِينَ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الْجَنَّةِ فِي تَرَفٍّ مَّرْكُومٍ﴾ [البقرة: ١٨٠]، والهدف الأول لهذا المكر عند جميع طوائف حزب الشيطان هو: حرصهم على تغيير الملة المستقيمة كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَرَوُنَّ عِندَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ أُتِيبَتِ أَهْوَاءُ هُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْغَيْرِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ثالثاً: الإرهاب النفسى



[الزمر: ٣٦]، قال الزمخشري: «أراد الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه»^(١).

وهذه الأوثان هي جزء من لحمة المجتمع الجاهلي ونظامه الاجتماعي، فالمساس بها مساس ببنية المجتمع الأساسية، قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَمَنَّ بِعَصَاكُمْ الزَّمَخْشَرِي الْمَرَاد بِالْمُودَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: «أَي لَتَتَوَادُّوا بَيْنَكُمْ وَتَتَوَاصَلُوا، لاجتماعكم على عبادتها، واتفاقكم عليها وائتلافكم، كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم»^(٢).

وفي لفظة كريمة من لدن الله العزيز الحكيم، لنبيه الكريم، لدحض فكرة هذا الخوف الذي تروج له الجاهلية يقول تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ [الأنعام: ٨١]، فالخوف لا ينبغي أن يلامس قلب الرسول الكريم أو المؤمن الصالح، لأنه على المحجة البيضاء والصراط المستقيم، وأولى بهذا الخوف أن يلامس قلوب المشركين الذين افتروا على الله الكذب، واتخذوا معه آلهة أخرى ظلماً وعدواناً، وهو ما أشارت إليه آية كريمة في موضع آخر من الكتاب العزيز، وفيها يقول ﷻ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وبحكم الطبيعة البشرية والضعف البشري قد يشعر بعض الأنبياء المقربين ﷺ برهبة أو خوف من القوى الطاغوتية التي يواجهونها في بعض المواقف، مثل ما حصل لموسى في مواجهة فرعون، حيث وردت آيات عدة تذكر هذا الخوف، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ

(١) الكشف (١٢٩/٤).

(٢) المصدر السابق (٤٥٠/٣).

إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ [الشعراء: ١٢]، وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١]، ولكن هذا الخوف سرعان ما تبدد في لحظة اللقاء مع فرعون، حيث كانت معية الله لموسى وهارون ﷺ كافية لأن تبدد أية ذرة من خوف ذلك الطاغية المتجبر، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَارَىٰ﴾ ﴿٤٦﴾ [طه: ٤٦].

ومن أسوأ صور الرهبة والخوف تلك التي يزرعها السادة والكبراء في نفوس أتباعهم، وهو خوف يجعل التابع ينقاد للمتبع انقياداً أعمى بلا وعي ولا تفكير، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَا ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ [الأحراب: ٦٧، ٦٨].

وفي مشهد آخر لهذا الحوار الساخن بين السادة والأتباع يوم القيامة يقول ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضِعُّوهُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِعُّوهُ أَنْخُصِدْكُمْ عَنْ أَلْمَدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضِعُّوهُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ آلِيلٌ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١-٣٣]، فعملية الإضلال كانت مهينة ومخططة عبر الليل والنهار، وكانت أمراً إلزامياً من السادة إلى أتباعهم وأعوانهم، هؤلاء السادة الذين يمثلون قمة الترف والفساد، ويدفعهم الخوف على مصالحهم الضيقة إلى التصدي لكل الأنبياء والمصلحين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ [سبأ: ٣٤].

وقد تكرر في القرآن الكريم نسبة المكر إلى الرؤساء كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبَرًا﴾ ﴿٢٢﴾ [نوح: ٢٢]، قال الزمخشري: «والماكرون

هم الرؤساء، ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح، وتحريش الناس على أذاه، وصدّهم عن الميل إليه والاستماع منه، وقولهم لا تذرنا آلهتكم إلى عبادة ربّ نوح... والكبار أكبر من الكبير، والكبار أكبر من الكبار^(١).

وربما عظم التابعون من الرعايا والعامّة أسيادهم كما يعظمون رب العالمين، وربما عبدوا قادتهم من دون الله تعالى، قال تعالى يذكر هذا التلاوم المزري بين السادة والقطيع يوم القيامة حيث لم تعد تُجدي الملامة: ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا مُمْ وَالْعَاوَنَ ۖ﴾ (٩٤) ﴿وَجُنُودَ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۖ﴾ (٩٥) ﴿قَالُوا وَهَمَّ فِيهَا يُخَنِّصُونَ ۖ﴾ (٩٦) ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ﴾ (٩٧) ﴿إِذْ سُوِّيَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ﴾ (٩٨) ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ۖ﴾ (٩٩) [الشعراء: ٩٤-٩٩].

ومن صور هذا التعظيم القسم بالطغاة كما فعل السحرة أمام موسى، حيث قال تعالى: ﴿فَأَلْفَوْا جِبَالَهُمْ وَعِصِيَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّتِ فرعون إِنَّا لَنِحْنُ الْغَالِبُونَ ۖ﴾ (٤٤) [الشعراء: ٤٤]، ونتيجة لهذا التعظيم المفتعل قد يتماذى الطاغية فيعلن الألوهية أو الربوبية كما فعل فرعون: ﴿وَقَالَ فرعونُ إِنِّي بَالِغٌ فِي الْعِلْمِ مِثْلُ آبَائِي فَأَوْقَدْ لِي يَهْتَمَّنْ عَلَى الْطِينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۖ﴾ (٣٨) ﴿وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ لَابِئْسَ أَتَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ ۖ﴾ (٣٩) [القصص: ٣٨، ٣٩]، وفي مشهد آخر يعلن فرعون أمام رعيته: ﴿فَنَحَسَرَ نَادَى ۖ﴾ (٢٢) ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۖ﴾ (٢٣) [الشعراء: ٢٣، ٢٤]، وقد دفعه إلى هذا الطغيان استخفافه برعيته، وعدم وجود من ينصحه أو يعارضه، قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۖ﴾ (٥٤) [الزخرف: ٥٤].

وكذلك فعل من قبله الطاغية نمرود أمام إبراهيم عليه السلام، حيث ادّعى القدرة على الخلق والإبادة، فأتاه إبراهيم بحجة جعلته يقف أمامها فاعراً مشدوهاً حائراً، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ

(١) الكشاف (٤/٦١٩).

اللَّهُ الْمَلِكُ إِذْ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ونتيجة لضغوط حزب الشيطان المتعددة على أهل الإيمان بالله ورسله،
يشعر المؤمنون بالرهبة والخوف، بيد أن الوعد الإلهي يتدخل ليبث آثار
ذلك الخوف، قال تعالى: ﴿وَلِيَبَدِّلَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [الثور: ٥٥].

وقد يقود التخويف إلى الغضب والإكراه، وهو ما لجأ إليه كثير من
أئمة الكفر، فقد يحاولون إكراه الرسل ﷺ للعودة إلى الكفر عنوة
حفاظاً على حياتهم وممتلكاتهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ
لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣]، وقال أيضاً: ﴿قَالَ
الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ
لَتَعُوذَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَانُوا فِي سَآوَةٍ فَذَرْنَاهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثٍ خِدَايَ
وَلِيُخَوِّدَكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ٨٨، ٨٩].

وربما مارس أعداء الرسل ﷺ سياسة الإكراه مع العامة من أجل
مصالحهم الدنيوية، فهذا فرعون يقهر الناس على تعلم السحر، قال تعالى
على لسان السحرة يخاطبون فرعون: ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا
أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ [طه: ٧٣]، بيد أن فرعون لم يقبل منهم هذا الموقف
وصرخ فيهم مستنكراً ومتوعداً: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لِي قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: ٧١]،
فكل شيء في عالم الدُّعْر والإرهاب الذي يقوده الطغاة يحتاج إلى إذن،
ويحتاج إلى قرار!

رابعاً: الترغيب والإغراء

الترغيب في المنكر أسلوب من أساليب الضغط النفسي، وعندما
يستخدم الترغيب في الشر يكون أثره السلبي على الإنسان مماثلاً لأثر

الترهيب، ولأن حزب الشيطان يؤثر الدنيا ومباهجها ولذاتها فهو يصد عن سبيل الله لتحلوا له الدنيا كما يريد، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتَوُهَا عَوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٥].

وطالما أن حزب الشيطان يصد عن سبيل الله، فهو لا يتورع عن التلاعب بالاديان كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٥١]، لذا نجد أتباع حزب الشيطان يحرضون المؤمنين على اتباعهم، ويغرونهم بحمل ذنوبهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التكوير: ١٢].

ويستخدم حزب الشيطان ما بيده من مال وثروة لصد الناس عن الهدى، قال تعالى يذكر تحاور أهل النار، وكيف أضلهم أسيادهم بأسلوب الترغيب: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٧٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٧٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَالِغِينَ ﴿٨٠﴾ [الصفافات: ٢٧-٣٠]، ومعنى اليمين في هذه الآية: أي من قبل الخير وناحيته، أو أنكم كنتم تأتوننا عن القهر والقوة وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه^(١).

وربما عمد حزب الشيطان إلى الفتنة بالحيوانات الثقيلة، فصنع بهائم من ذهب ليعبدها الناس، وإنما هم يعبدون في الحقيقة بريق الذهب، وذلك كما فعل السامري الذي أضل قوم موسى حيث أخبر الله عنه: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَلًا جَسَدًا لَّهُمْ خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرْفًا وَلَا نَقْعًا ﴿٨٩﴾ [طه: ٨٨، ٨٩]، وهذا العجل كان مصنوعاً من الحلي والذهب كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَئِجِهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَّهُمْ خُورًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وهكذا الكفرة يفتنون

(١) بليجاز: الكشف (٤٠/٤).



بالجانب الحيواني المادي الثقيل الصفيق الذي له بريق الذهب فيعبده.

وقد حاول رؤوس الكفر قريش ثني النبي ﷺ عن دعوته مستخدمين كل الأساليب، ومن ذلك أسلوب الإغراء، بيد أن رسول الله ثبت ولم يركع لمغريات الحياة، فقد بعث إليه أشراف قومه واجتمعوا إليه عند الكعبة وقالوا له: «يا محمد! إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفّهت الأحلام، وفُرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً من الجن قد غلب عليك - وكانوا يسمّون التابع من الجن رثياً - فربما كان ذلك، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك»، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتمكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»، أو كما قال ﷺ^(١).

خامساً: رفض الحقيقة

رفض الحقيقة صورة من صور الحرب النفسية، إذ يجعل المؤمن في حيرة من هؤلاء المعاندين الذين يتعامل معهم، فهم يملكون قلوباً قاسية كأنها من حجر، لا تستيقظ من سباتها، ولا تلين من قسوتها، وترفض الحق

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣٦/٢). دار الفكر، الطبعة الثانية.

لمجرد أنه الحق، ويتجلى رفض الحقيقة بأمور كثيرة، منها:

□ الكفر بعد الإيمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُونَ﴾ (آل عمران: ٩٠)، قال الزمخشري: «هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن»^(١).

□ وربما حاول أعداء الرسل ﷺ التفرقة بين الله ورسله والإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم الآخر، وكان القضية مجرد هوى أو مزاج، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٥٠، ١٥١).

□ وقد ينكرون النبوات جميعاً، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٩١).

□ وقد يعلنون الكفر بآيات الله والصد عنها، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: ٩٨، ٩٩).

□ وربما صرّحوا بمعاداة الله، وأعلنوا الحرب على الله ورسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ كُفْرًا كَمَا كُنْتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَفَدَّ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْبَنَاتِ وَيَنْتَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (المجادلة: ٥)، ومعنى يحادون: يعادون ويشاقون، وكتبوا: أخزوا وأهلكوا^(٢). وذلك لأن الحرب مع الله خاسرة، تدل على شقاء صاحبها، وسيخسر صاحبها في الدنيا والآخرة.

□ وهناك شريحة تعرف صدق النبي ﷺ، بيد أنها جحدت الحقيقة

(١) الكشف (٣٨٢/١).

(٢) المصدر السابق (٤٨٩/٤).

حسداً وظلماً، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣].

□ وهناك شريعة أخرى تظاهرت بالإسلام، بيد أنها ترفض التحاكم إلى شريعة الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَوَفِّينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ ﴿٦١﴾ [النساء: ٦١].

□ ومن صور رفض الحقيقة الإعراض عنها، وعدم المبالاة بها، كما قال تعالى: الإعراض ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَنْفُسَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٣﴾ [الأحقاف: ٣]، وقال أيضاً: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُجْدٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٥﴾ [الشعراء: ٥].

□ وربما هرب الكافرون من سماع الحقيقة، وأصابهم الهلع من رؤية صاحبها، فهربوا كما تهرب الحمير الوحشية من اللبوة زوجة الأسد!، وهو هروب يدل على مدى الذعر والنفور من هذه الدعوة الجديدة، قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٩١﴾ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ [المدثر: ٤٩-٥١].

ومن أسوأ صور الهروب من سماع الحقيقة صك الآذان عند سماعها، وتغطية الرؤوس عند رؤية صاحبها كما كان يصنع قوم نوح ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ﴿٧﴾ وَأَسْتَغْفِرُوا أَسْتَجَبَارًا ﴿٧﴾﴾ [نوح: ٥-٧]، قال الزمخشري في شرح الآية: «واستغشوا ثيابهم: وتغطوا بها، كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله»^(١)، وأية جهالة أكبر من صك الآذان، والتغطي بالثياب، إنه فعل من لا يثق بنفسه ومعتقدده، فيريد أن يسد كل منافذ النور التي يمكن أن تبدد له ظلام ذلك المعتقد.

(١) الكشف (٦١٦/٤).

□ ومن صور رفض الحقيقة تقديم تفسيرات غير صحيحة للدعوة، كدعوى أن النبي ﷺ يريد الزعامة من وراء النبوة، وهذا ما ادّعاه قوم نوح: ﴿قَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَبْفَضَلَكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

□ ومن صور رفض الحقيقة التشبث بالعقائد الفاسدة والتقليد الأعمى للسابقين ولو كانوا على ضلال!، وهو موقف تقفه الجاهلية في كل عصر، حيث تفترض في آبائها وأجدادها الصواب المطلق، وترفض الانعتاق من رق العبودية لفهم الآباء والأجداد، وتحارب أي دعوة لإعمال العقل والتفكير السليم، وهو موقف اتخذته ثمود مع نبيها صالح عليه السلام، حيث: ﴿قَالُوا يَصْلِحْ فَذْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]، وكذلك اتخذه أهل مدين، حيث: ﴿قَالُوا يَشْعَبُ آبَاؤُنَا أَن تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، وسارت عليه قريش كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْنَا نُنَكِّئُ مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ مِمَّا عَفَايَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَاحِقٌ لَنَا مَا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [سبأ: ٤٣]، وقد استنكر القرآن هذا الاتباع الأعمى للآباء بعد نزول الهدى، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وتكرر هذا الاستنكار في أكثر من موضع كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

□ ومن صور رفض الحقيقة التكذيب بها، فهذا هود يخاطب عاداً خطاباً مهذباً واضحاً ناصحاً فيقول: ﴿أَتَنْتُونُنِي بِكُلِّ رِيحٍ مَائَةٍ تَعْبَثُونَ﴾ [هود: ١٧٨] وَتَتَّخِذُونَ مَصَافِحَ لَكُمْ تَعْتَدُونَ ﴿١٧٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٨٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٨١﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣١]، فأجابوه بكل صفاقة: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا



أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ [الشعراء: ١٣٦-١٣٨]، وهذا النبي محمد ﷺ يلاقي التكذيب من قومه أيضاً، قال تعالى موسياً له: ﴿وَلَنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَلَئِنْ اللَّهُ تَرَجَّعَ الْأُمُورُ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الطور: ١١، ١٢].

وسبب هذا التكذيب أن الكافرين أصلاً يحبون الافتراء والكذب حتى صار ديدنهم وجبله فيهم، فلا يتورعون عن رمي الصادقين به كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتِرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]، والتكذيب هذا خلق أعداء الله جميعاً، وقد عانى منه الأنبياء والمرسلون ﷺ جميعاً، وربما قاد إلى الاستهزاء بهم، وبما يدعون إليه، قال تعالى بشأن قريش: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْتُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١﴾﴾ [الشعراء: ٦]، وقال أيضاً: ﴿يَنْحَسِرُوا عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [يس: ٣٠].

□ ويمتزج الإعراض بالتكذيب ليؤديا إلى الاستهزاء، قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿١﴾﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْتُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنعام: ٥، ٤].

وطالما كذب حزب الشيطان بالرسول ﷺ، فلا عجب بأن نجد لديه رغبة جامحة في ردة المؤمنين عن دينهم كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَكًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩]، وربما تطورت هذه الرغبة إلى حد القتل كما سيأتي.

□ والنعم التي ينعمها الله ﷻ على عباده تقود حزب الشيطان إلى الاستكبار واستخدام المال والزينة في المعصية كما قال تعالى: ﴿وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأُوهُ زِينَةً وَآمُورًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ

سَبِيلُكَ رَبَّنَا أَطْمَسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴿يُونُس: ٨٨﴾، ويتجلى الاستكبار في رفض الحقيقة المطلقة وهي
التوحيد والدينونة لله رب العالمين كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [الصافات: ٣٥].

ومن أشد المستكبرين وألعنهم الطاغية فرعون، يقول تعالى: ﴿وَلِإِنَّ
فِرْعَوْنَ لَكَالِ فِي الْأَرْضِ وَلِئِنَّ لِمَنْ الْأُسْرِفِينَ﴾ ﴿يُونُس: ٨٣﴾. وكان الاستكبار يلفه
هو وحاشيته وجنوده، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ
إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ يَتْلِيَانَا فَاَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿يُونُس: ٧٥﴾، وكانوا
ينظرون إلى الأنبياء ﷺ وكأنهم يريدون نزع الزعامة منهم، فقد قالوا
لموسى وهارون ﷺ: ﴿أَجَعْتَنَا تِلْكَفَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا
الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿يُونُس: ٧٨﴾.

ومن الأمم المستكبرة عاد كما تقدم، وقد غرّتها قوتها المادية فطغت
في الأرض ظلماً وفساداً، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ﴾ ﴿١٥﴾ [فصلت: ١٥].

وينهمك المستكبرون عادة في لذائذ الدنيا وشهواتها متناسين نعيم
الآخرة وعذابها، يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَهُمْ مَطِيعَتُهُمْ
فِي حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَغْنَعُ بِهَا قَالِيَوْمَ يُخْرَجُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [الاحقاف: ٢٥]، وفي غمرة الشهوات
يرفضون الحقائق الخالدة المنزلة من السماء، يقول تعالى: ﴿وَمَا أُنذِرُ النَّارَ وَمَا
لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذْتُمْ بآيَاتِ اللَّهِ هُزُوا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا قَالِيَوْمَ لَا
يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [الجاثية: ٣٥، ٣٤]، وربما جادلوا في هذه
الحقائق الخالدة من ألوهية وربوبية ودين ونبوة ومعاد بلا أدلة ليدحضوها
ظلماً وبغياً كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ﴿٨١﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩، ٨]، قال



الزمخشري: «ثني العطف: عبارة عن الكبر والخيلاء، كتصغير الخد وليّ الجيد»^(١)، فاجتمع في موقفهم الجهل العلمي المتمثل بالجدل الباطل الذي لا يستند إلى حقائق، والمرض النفسي المتمثل بالخيلاء والانتفاش الفارغ الذي لا يسنده شيء.

□ ومن صور رفض الحقيقة نبذ الدعاء عند المحن والشدائد، وهو نابع أساساً من الاستكبار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَاتَّخَذْتَهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءَ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ (٤٢) ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤٣) [الأنعام: ٤٢، ٤٣]، فهؤلاء السفهاء يرفضون الدعاء، لأنه في تصوّرهم سلاح الضعفاء، وهم مغرورون بقوّتهم وأعمالهم.

□ ومن صور رفض الحقيقة السخرية من أصحابها وحملتها، قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْرَحُونَ مِّنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٣٧) [البقرة: ٢١٢]، وقال تعالى: ﴿قَالَ أَحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (١٣٨) ﴿إِنَّمَا كَانَ فَرْقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَعْظِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٣٩) ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءَ حَتَّىٰ أَسْأَلْتُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحِكُونَ﴾ (١٤٠) ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٤١) [المؤمنون: ١٠٨-١١١]، ومعنى: ﴿أَسْأَلْتُمْ ذِكْرِي﴾ أي: حملكم بغضهم على أن نسيتم معاملتي^(٢)، فهو عدوان على المخلوق ينسى المعتدي من خلاله خالقه، ويضيع في نشوة الظلم والعدوان.

□ ومن أقبح أنواع السخرية الضحك عند سماع القرآن، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ هَٰذَا الَّذِي يَتَجَبَّوْنَ ﴿٥٩﴾ وَيَضْحَكُونَ وَلَا يَكُونُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النجم: ٥٩، ٦٠]، وكذلك التهكم بأهل الصلاح والضحك منهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا

(١) الكشاف (١٤٦/٣).

(٢) مختصر ابن كثير (٥٧٨/٢).

فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ [المطففين: ٢٩-٣٢]، والضحك من الأنبياء ﷺ جبلة الطغاة وعلى رأسهم الطاغية المغرور فرعون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزخرف: ٤٦، ٤٧].

□ ومن صور رفض الحقيقة الاستهزاء بها وبأهلها، والهزاء في اللغة: مزح في خفية، وقد يقال لما هو كالمزح^(١)، وقد استهزأ الكفرة بالنبي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان: ٤١، ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ٣٦]، كما استهزئ بكافة الرسل ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ٤١]، وقال أيضاً: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجر: ١١].

وقع الاستهزاء على أتباع الرسل ﷺ أيضاً، قال تعالى في صفة المنافقين الذين يظهرون الإيمان خديعة ويخفون الكفر بين جوانحهم بغرض الاستهزاء: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَت بِتَحَدُّثِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ١٤-١٦]، وأمام هذا الاستهزاء بالدين وشعائره التعبدية يحذر الله عباده المؤمنين من موالاة أئمة الكفر والركون إليهم، فيقول ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَثَارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ تَقْوَمِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا تَادَبْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْلُظْوا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المائدة: ٥٧، ٥٨].

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة (هزؤ).



سادساً: تأثيرات نفسية مختلفة

إضافة إلى ما ذكرناه فيما سبق، فإن هنالك العديد من التأثيرات النفسية المختلفة التي تدخل في الحرب النفسية، ويمكن إضافتها هنا، ومن ذلك:

□ الطيرة: وهي التشاؤم من الرسل ﷺ وأتباعهم، وهو أسلوب يزرع الإحباط في نفوس أهل الإيمان، فهذا النبي صالح ﷺ يخاطبه قومه: ﴿قَالُوا أَطِيعُوا يَا مَعْكَ قَالَ طَاعِيكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [الثلث: ٤٧] والمعنى: «أي تشاء منا، وكانوا قد قحطوا»^(١)، وهؤلاء ثلاثة من الرسل ﷺ بعثهم الله إلى قرية من القرى يدعون أهلها، فكان جواب أهل القرية: ﴿إِنَّا نَطِيعُكَ يَا مَعْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكَ﴾ [يس: ١٨]، وهؤلاء آل فرعون يتشاءمون من موسى ومن معه، قال تعالى: ﴿وَأَن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١].

□ وهناك السمات، وهي خلق يدل على التشفي بالآخرين عندما تنزل فيهم المصائب، كما قال تعالى: ﴿إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَّوْهُمُ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، قال الزمخشري: «الحسنة: الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع، والسيئة ما كان ضد ذلك، وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير، ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة»^(٢)، وقد تكررت الإشارة إلى السمات في أكثر من موضع في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ سَّوْهُمُ وَإِن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِن قَبْلُ وَكَانَ آلَهُم فَرِحُوا﴾ [التوبة: ٥٠].

□ والزهو والفرح والمرح أمور تزرع الطمأنينة والخيلاء والتكبر في نفوس أعداء المؤمنين، فيظنون بأنفسهم أنهم على حق، قال تعالى موبخاً

(١) الكشف (٣/٣٧١).

(٢) المصدر السابق (١/٤٠٦).

أهل النار: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (٧٥) ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٧٦) [غافر: ٧٥، ٧٦]، وتجد واحداهم يمشي ممشوق القامة، مصعر الخد، متبختراً في مشيته، كما قال تعالى: ﴿فَلَا صَلَفَ وَلَا مَلَأَ﴾ (٣٦) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتْلَ (٣٧) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَيْكَ أَهْلُهُ بِتَطَرٍّ (٣٨) [القيامة: ٣١-٣٣]، ومعنى: ﴿بِتَطَرٍّ﴾: يتبخر، وأصله: يتمطمط، أي يتمدد، لأن المتبخر يمد خطاه (١).

وربما ظن ذلك الكافر المغرور عمله صالحاً نتيجة فرحه ومرحه، يقول تعالى: ﴿أَفَنَنْزِلُ لَمْ سَوْءَ عَلَيْهِمْ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]، وليس هذا السلوك قاصراً على فرد، بل هو سلوك الكافرين جميعهم: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١٠٤) [الكهف: ١٠٤].

□ والغرور بالنعم يدفع الكافر للاستعلاء على المؤمنين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (٤٤) [الأنعام: ٤٤]، قال الزمخشري: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: أي من البأساء والضراء، أي تركوا الاعتاض به فلم ينفعهم ولم يزجرهم، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من الصحة والسعة وصنوف النعمة، ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الأب المشفق بولده، يخاشنه تارة ويلطفه أخرى، طلباً لصلاحه، ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾: من الخير والنعم، لم يزدوا على الفرح والبطر، من غير انتداب لشكر ولا تصدُّ لتوبة واعتذار، ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾: واجمون متحسرون آيسون (٢).

وتجد أئمة الكفر يفتخرون بالجاه والقوة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ

(١) الكشف (٤/٦٦٤).

(٢) المصدر السابق (٢/٢٣).



ءَايُنَا نَبِّسُو قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَآحْسَنُ نَدِيًا ﴿٧٦﴾ وَكَرَّ
 أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَدًّا ﴿٧٧﴾ [مریم: ٧٣، ٧٤]. المقام: موضع
 الإقامة والمنزل، والندي: المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم
 وأنصارهم، والأثاث: متاع البيت، ورنيا: هو المنظر والهيئة^(١)، وربما دفعهم
 هذا الجاه إلى الشقاق كما قال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي﴾ ﴿٧٨﴾
 [ص: ٢]، أو إلى الظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ
 لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [النساء: ١٦٨].

كما نجدهم يغترون بالثروة والعلم بكيفية جمعها، فهذا قارون المتكبر
 يقول لمن وعظه: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن
 قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ دُؤْبِهِمْ
 الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصاص: ٧٨]، وقصارى علم هؤلاء الجهلة مقصور على
 الدنيا دون سواها، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ
 هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الزوم: ٧].

والخلاصة في هذا المبحث أن الكفرة والمنافقين هم قوم مرضى
 نفسياً، كما قال تعالى مؤكداً مرضهم: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾
 [البقرة: ١٠]، وقال أيضاً مؤكداً تعطل حواسهم عن استقبال الهدى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ
 عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]، ولا عجب إذا كان
 مريض القلب والروح يكدى للهدى بمختلف السبل والوسائل، لأن المريض
 لا يدرك حقائق الأشياء، وقديماً قال المتنبي^(٢):

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرأ به الماء الزلالا



(١) الكشف (٣/٣٦ - ٣٨).

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح المكبري (٣/٢٢٨).

المبحث الثاني:

الحرب الإعلامية

الحرب الإعلامية هي جزء من الخطة العدوانية الشاملة التي يتبعها أعداء المنهج الإلهي في الأرض، وتقوم الحرب الإعلامية على عدد من الأمور، سنفصلها في هذا المبحث إن شاء الله.

أولاً: انعكاس التصورات

إن أكبر الأسس التي يقوم عليها الإرهاب الإعلامي هي انعكاس المفاهيم والتصورات لأرباب هذا الإعلام، فالفساد عندهم صلاح!، والصلاح فساد!، ومن كانت هذه حاله أفسد في الأرض وهو يظن نفسه يعمرها، وأنكر على من يعمر الأرض عمراناً صحيحاً زاعماً بأنه يفسدها!، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

وطالما أن هنالك انعكاساً بالمفاهيم، فلا غرابة في أن يطلق أهل الكفر والنفاق على أهل الإيمان الألفاظ النابية مثل لفظ السفهاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ١٣]، ولا غرابة أيضاً في الترويج للملل والنحل الباطلة على أنها هي الطريق القويم والصراط المستقيم، قال تعالى يذكر قول هؤلاء المروجين للملل الباطلة: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةٌ إِزِيدَكُمْ خِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥].

وأصحاب الملل الفاسدة، والتصورات المعكوسة يحملون الكراهية للحق وأهله، ومن هذا المنطلق تبدأ حملتهم الإعلامية ضد الهدى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَالُهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزَلَ اللَّهُ فَأَخِطَ أَعْمَالُهُمْ ۚ﴾ [محمّد: ٩، ٨].

ثانياً: ترويج التهم والأباطيل

ترويج التهم والأباطيل هو ديدن حزب الشيطان، فليس لدى أهله حجة تقابل حجة، ولا برهان يقابل برهاناً، ولذلك يلجؤون إلى ترويج التهم الباطلة، والألفاظ النابية، لصرف الناس عن دعوة الأنبياء ﷺ، ومن هذه التهم:

□ السحر، وهو في الأصل من صناعة الشياطين كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقد يعتمد الطغاة على السحرة في الترويج لفعالهم الخبيثة، ولكسر قلوب الناس، قال تعالى في وصف السحرة الذين اعتمد عليهم فرعون: ﴿وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وإذا كان السحر من صناعة حزب الشيطان أساساً، فمن المستهجن أن تطلق أبواق الكفر الدعايات المغرضة حول الأنبياء ﷺ وتصفهم بأنهم سحرة، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

وإذا كان الاتهام بالسحر عاماً للأنبياء ﷺ، فقد قصّ علينا القرآن تفصيلاً لهذا الاتهام عند بعض الأنبياء ﷺ، فقد اتهم بالسحر موسى ﷺ، وسجّلت هذا الاتهام آيات عدة، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٥٧]، وقوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، كما اتهم بالسحر أخوه هارون أيضاً، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَىٰ﴾ [طه: ٦٣]، والعجب أن هذه الفرية التي ألصقت بموسى وهارون قد ألصقت أيضاً بمحمد ﷺ!

وسُجِّلَتْ هَذَا الْاِتِّهَامَ آيَاتٌ عَدَّةٌ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [يُونُس: ٢]، وقوله: ﴿وَعِجْبًا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾ [ص: ٤].

ولكن كيف يكون الرجل ساحراً عظيماً ومسحوراً في آن واحد؟ هذا هو التناقض الذي لم تأبه به أبواق الدعاية الفرعونية حين وصفت موسى بأنه مسحور، قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]، ومثل هذا الخلط بين الساحر والمسحور وقع به كفار قريش حين زعم بعضهم أن محمداً مسحور، قال تعالى: ﴿تَحَنُّنُ أَخْلَعُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ بِخَجْوَةٍ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء: ٤٧]، ويلاحظ هنا تناقض المشركين في وصف الرسول مرة بساحر وأخرى بمسحور! ومثل هذا التناقض كثيراً ما تقع به أجهزة الدجل الإعلامي في حزب الشيطان.

□ ومن التهم التي يفيض بها قاموس حزب الشيطان وصف الأنبياء والرسول ﷺ بالجنون، وهذا الاتهام الظالم لم يسلم منه رسول ولا نبي من الأنبياء ﷺ، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴿٥٢﴾﴾ [الذاريات: ٥٢].

وإذا كان الاتهام بالجنون عاماً للأنبياء ﷺ، فقد قصص علينا القرآن تفصيلاً لهذا الاتهام عند بعض الأنبياء ﷺ، قال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوْحٌ مُكَذِّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مُجُنٌّ وَازْدَجَرَ ﴿١﴾﴾ [القمر: ٩]، وتكرر ذلك منهم، فقال تعالى عنهم في موضع آخر: ﴿وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [الحجر: ٦]. واتهم موسى عليه السلام أيضاً بالجنون، قال تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٧]، وقال أيضاً: ﴿فَتَوَلَّى رُكُودَهُ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴿٢٩﴾﴾ [الذاريات: ٢٩]. وقد اتهم النبي محمد ﷺ بهذا الاتهام، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ



وَلَا يَجْتَنُونَ ﴿١٦﴾ [الطور: ٢٩]، وقال يحكي مقولة الكفار عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَئِنَّا لِشَاعِرٍ يَجْتَنُونَ﴾ [الصفافات: ٣٦].

وقد يصاحب الاتهام بالجنون نظرات حاقدة تطفح غيظاً وعداوة، قال تعالى: ﴿وَأَن يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَبْغِيَنَّكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَنَا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [الْقَلَم: ٥١] قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: «يعني أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزراً بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك، من قولهم: نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني، ويكاد يأكلني، أي لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله»^(١).

□ ومن التهم التي يفيض بها قاموس حزب الشيطان وصف النبي ﷺ بأنه شاعر، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥]، وقال أيضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، وقال عز من قائل: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَئِنَّا لِشَاعِرٍ يَجْتَنُونَ﴾ [الصفافات: ٣٦]، وكيف يكون المرء شاعراً ومجنوناً في آن واحد؟ ما أبعد هذا عن محمد ﷺ!

□ ومن التهم التي يفيض بها قاموس حزب الشيطان وصف النبي بأنه كاهن، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩]، وقال أيضاً ينفي الكهانة عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٤١]، وكيف يكون المرء شاعراً وكاهناً في آن واحد؟ ما أبعد هذا عن محمد ﷺ!

□ ولا يقتصر حزب الشيطان على إطلاق الأوصاف النابية على الأنبياء ﷺ، بل تتسع الدائرة لتشمل أتباعهم، فهؤلاء قوم نوح يقولون له في تبرير عدم إيمانهم: ﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، والردالة: الخسة والدناءة، قال الزمخشري: «وإنما استردلوا المؤمنين لفقرهم

(١) الكشف (٤/٥٩٧).

وتأخرهم في الأسباب الدنيوية^(١)، ويفيض الزمخشري في تفصيل أسباب هذا الموقف السلبي من المؤمنين، فيقول: «وإنما استردلوهم لأنضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا، وقيل: كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة، والصناعة لا تزري بالديانة، وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله ﷺ، وما زالت أتباع الأنبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم، ألا ترى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله ﷺ، فلما قال: ضعفاء الناس وأراذلهم. قال: ما زالت أتباع الأنبياء كذلك»^(٢)، فالفقر والتخلف المهني أو الصناعي لا يعيب الإنسان عند بداية إيمانه، ولكن لا يعني هذا بأن الدين يحبذ بأن يبقى المؤمن فقيراً ضعيفاً لا حيلة له ولا سعي، فالمؤمن مطالب بأن يكون في مقام القدوة وصاحب المبادرة حيثما كان، وذلك لأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، واليد العليا خير من اليد السفلى.

ثالثاً: اعتماد أساليب متعددة للتضليل الإعلامي

ومن هذه الأساليب:

□ تشويه الحقائق، وأتھام حملتها الصادقين من الأنبياء والمرسلين ﷺ بالكذب والضلال، وهو ديدن الكافرين من الأمم السابقة مع الأنبياء والرسول ﷺ، قال تعالى في شأن قوم نوح ﷺ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ قَالَ أَلَمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٦٠﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٠]، وقال أيضاً في شأن قوم هود ﷺ: ﴿وَالَيْكَ عَادَ أَخَاهُ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥ قَالَ أَلَمَلَأُ الَّذِي كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي

(١) الكشف (٣٨٨/٢).

(٢) المصدر السابق (٣٢٤/٣).



سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٦٦﴾ [الأعراف: ٦٥، ٦٦]، وقال تعالى في شأن قوم صالح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّدْرِ ﴿٣٣﴾ فَقَالُوا أَأَشْرًا مِنَّا وَحِدًا نَعْبُدُهُ إِذَا لَأِىَ صَلَافٍ وَسُعُرٍ ﴿٣٤﴾ أَهْلَيْكَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٣٥﴾﴾ [القمر: ٢٣-٢٥]، ومعنى أشر: بطر متكبر، حملة بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك^(١)، وقال تعالى في شأن كفار قريش: ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزوم: ٥٨].

□ ومن أساليب التضليل الإعلامي تشويه الخطاب الرباني، وذلك من خلال لي الألسنة في التلاوة، كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨]، قال الزمخشري: «يلوون: يفتلون بها بقراءته عن الصحيح إلى المحرف»^(٢)، ويدخل في التشويه اللغو في القرآن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: ٢٦]، والمعنى: «أي إذا تلي لا تسمعوا له كما قال مجاهد، «وَالْغَوْا فِيهِ» يعني بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ، وكانت قريش تفعله»^(٣).

□ ومن أساليب التضليل الإعلامي إبراز الكفر وكأنه الحقيقة المسلمة في هذا الكون، والإسراع إليه، كما هو شأن بعض العتاة من الكفرة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٧٦].

□ ومن أساليب التضليل الإعلامي الثثرة الإعلامية والاجترار الطويل للكلام، والمتمثل بالجدل بالباطل، ويدخل فيه الجدل بغير علم، قال تعالى:

(١) الكشف (٤/٤٣٧).

(٢) المصدر السابق (١/٣٧٧).

(٣) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني (٣/٢٦١).

﴿يَتَأَمَّلِ الْكِتَابَ لِمَ تُعَاجِلُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءَ حَتَّيْمَةً فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُعَاجِلُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ٦٥، ٦٦]، وكثيراً ما يكون هذا الجدل بوحى من الشياطين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وتمكن الكافرين في الأرض هو الباعث على هذا الجدل، قال تعالى: ﴿مَا يُجَدِّلُ فِيَّ عَابِتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزِرَكَ تَلَوُّهُمْ فِي أَلِيلَةٍ﴾ [غافر: ٤]، وربما جادل أولئك الكفرة بما يضربه الله من أمثال، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَا قَوْحُهُ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ يَتَقَضُّونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مُسَوِّغِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧].

ومن العجب أن الكفرة الذين تجذر فيهم الجدل، يتهمون أنبياءهم ﷺ به، قال تعالى عن قوم نوح: ﴿قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْنَاكَ فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَإِنَّا بِمَا يَدْعُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود: ٣٢].

□ ومن أساليب التضليل الإعلامي التشكيك بالحقائق. والمسلمات، فقد شكك الكافرون بالقرآن، فادَّعوا بأنه حديث مفترى، قال تعالى: ﴿أَزْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُمْ فَلَا تَكُونُوا لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ [الاحقاف: ٨]، ومرة أخرى ادَّعوا بأنه إفك قديم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ قَسَبُوا لَوْلَا هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الاحقاف: ١١]. وكان أبو جهل أحد حاملي راية التشكيك بالدعوة الجديدة، فقد كان إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنه وأخزاه، وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنفلين رأيك، ولنضعن شرفك،

وإن كان تاجراً، قال له: والله لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به^(١).

ومن التشكيك المبطل، ما أثارته قريش حول جلوس الرسول ﷺ مع رجل نصراني بمكة، مما أغرى قريشاً بدعوى منكرة، وهي أن النصراني يعلم محمداً، متجاهلين أن الكتاب الذي أنزل على محمد إنما هو بلسان عربي مبين، وهو معجزة الرسول ﷺ التي تحدّاهم بها، بينما كان ذلك النصراني لا يحسن العربية، مما يبطل حجّتهم ويسقط دعواهم، قال ابن إسحاق: «وكان رسول الله فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني، يقال له جبر، عبد لبني الحضرمي، فكانوا يقولون: والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني غلام بني الحضرمي، فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبُوا وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [التحل: ١٠٣]»^(٢).

□ ومن أساليب التضليل الإعلامي تزويق الخطاب الإعلامي، بحيث يبدو الكلام الجميل المنمق وكأنه يحمل الحقائق في طياته، وما هو إلا كجلد الأفعى الذي يغري منظره، فإذا أعجبت به ولمسته، قتلتك الأفعى بزعافها، قال تعالى يصف تعاون حزب الشيطان في الصناعة الإعلامية المنمقة لصرف الناس عن الدعوة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ لَإِكْ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

ومن الكلام المنمق: الشعر، وهو سلاح يصلح للخير والشر، وكثيراً ما يلجأ إليه الكفار لبث الضلال من خلاله ولا سيما في فجر الدعوة

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٨٦/٢)، دار الفكر، الطبعة الثانية.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (٣٩٣/١)، مؤسسة علوم القرآن.

الإسلامية، حيث لم يكن للنبي ﷺ شعراء يذودون عنه، ثم تغير الأمر بالمدينة بعد وجود ثلاثة من الشعراء وهم: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة في صف النبي ﷺ، مما سمح بالاستثناء للحكم العام بشأن ضلال الشعراء، قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعَعَهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنَّى يُنْقَلِبُ يُنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧]، ويدخل في حكم الشعر الغناء وبعض الفنون الجميلة في حالة استخدامها لاستصراخ الغرائز، وتهيج الشهوات، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦١﴾﴾ [القصص: ٦١]، قال الزمخشري في تفسير الآية: «لهو الحديث نحو السمر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها، والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام... ونحو الغناء وتعلم الموسيقى»^(١).

□ ومن أساليب التضييل الإعلامي استخدام لغة مزدوجة في الحياة، بمعنى أن يفصح الإنسان من خلال لسانه عن شيء جميل، بيد أن قلبه وسلوكه وعمله بخلاف ذلك، مما يجعله يأسر الآخرين بالشعارات الجميلة التي يرفعها، وهو في حقيقته مارق بطل، يستخدم هذه الشعارات مطية ليقود الناس ويحقق مصالحه من خلالها، ولا يقبل توجيهاً ولا نصحاً بعد ذلك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿١٢٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ وَلِئْسَ إِلِهَادًا ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦]، وهكذا كان المنافقون أيضاً، أصحاب لغة مزدوجة في الحياة، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ

(١) الكشاف (٣/٤٩٠).

الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ [المنافقون: ١، ٢].

□ ومن أساليب التضليل الإعلامي الاعتماد على الحلف الكاذب والأيمان الخادعة في لغة حزب الضلال، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾﴾ [المجادلة: ١٤-١٦]، والإكثار من القسم سمة الدجالين الذين يريدون ترويع ضلالهم بالحلف، والشيطان عمدة حزبه في هذا الأمر، فقد أقسم لآدم كاذباً، وكان من نتيجة قسمه ما كان عقب ذلك من شقاء لبني آدم، قال تعالى: ﴿وَقَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١].

□ ومن أساليب التضليل الإعلامي التبييت والتأمر الخفي، حيث يعمد المخططون إلى وضع برامجهم الفاسدة ومؤامراتهم اللفظية عبر الظلام، ومن وراء الكواليس كما يقال، قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٧٨﴾﴾ [النساء: ١٠٨]، ويدخل في التأمر: النجوى بالإثم، وتحية النبي بغير التحية الطيبة المعهودة من عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَا عَنْهُ وَيَنْجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيْوَتُكَ بِمَا لَمْ يَحْكُمْ بِهِ اللَّهُ وَيَعُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَيَنْسَ الْغَيْبُ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة: ٨].

ويدخل في التبييت والتأمر الوسوسة، وقد يكون صاحبها من الجن أو الإنس، وقد تتجاوز حدود الأمر بالمعاصي لتكون أداة لتنفيذ الخطط والجرائم ضد الدعوة، قال تعالى مبيناً خطورة الوسوسة وضرورة الالتجاء إليه للخلاص من ضررها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ١-٦].

رابعاً: حرب إعلامية شاملة

عندما تبدأ شعلة النور تتوهج، ويصحو الناس من غفلتهم، ويتواردون على منهل الدين الحق، وتخشى أئمة الكفر على مصالحها، فإنها تقود حرباً إعلامية شاملة ضد الهدى، وتتمثل لغة الحرب عندها بالوعيد، فهذا شعيب يخاطب قومه مندداً بعودهم في طريق الهدى وصدّهم للناس عن الإيمان بلغة الوعيد، فيقول: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَرَ بِهِ وَتَتَّبِعُونَهَا عِوَجاً وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً نَكَرَكُمُ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦].

ولا تقتصر الحرب الإعلامية على الكافرين بل ويقودها المنافقون أيضاً، وهم طابور خامس يعيش في جسم المسلمين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وتتمثل الحرب الإعلامية في صور مهينة من إسكات الرسل ﷺ ورفض الاستماع إليهم، فلا حوار ولا رأي آخر ولا منطق ولا عدالة عند حزب الشيطان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِّنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِمَّنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩]، قال الزمخشري في تفسير الآية: «فردوا أيديهم في أفواههم: فعضوها غيظاً وضجراً مما جاءت به الرسل، كقوله: ﴿عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْفَيْلِ﴾ [آل عمران: ١١٩] أو ضحكاً واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه، أو أشاروا بأيديهم إلى السنتهم وما نطقت من قولهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطاً من التصديق، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ وهذا قول قوي، أو وضعوها على



أفواههم يقولون للأنبياء: أطبقوا أفواهكم واسكتوا. أو ردوها في أفواه الأنبياء يشيرون لهم إلى السكوت، أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون^(١).

وتمتد الحرب الإعلامية لتطال بنارها اتهام المؤمنين بأسوأ الألفاظ، فهذا هو الإعلام الفرعوني يتهم المؤمنين بأنهم شرذمة! وما أحسنها من شرذمة!، يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْنَا فَارْجِعْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَلَأَيْنِ خَشِيرَتِهِ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ۝﴾ [الشعراء: ٥٢-٥٦]، ومعنى الشرذمة: الطائفة القليلة، وقوله: ﴿حَاذِرُونَ﴾: أراد أنهم أقوياء وأشداء، وقيل: مدججون في السلاح^(٢)، فالقيادة الفرعونية الضالة على أهبة الاستعداد لمقاومة موسى ومن معه.

وتواصل التهمة الفرعونية للمؤمنين لتشمل تهمة التآمر وقلب النظام العام، مما يبرر للرأي العام قتل المؤمنين وإبادتهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِن هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكَ الْمُنَىٰ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتُوا صِفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَنَ ۝﴾ [طه: ٦٣، ٦٤]، وبالفعل فإن فرعون حشد كل إمكاناته للنزال ضد موسى ﷺ، فهباً السحرة، وبث الدعاية في المدائن، وتم تحديد الموعد والمكان والوقت، واجتمع الناس لذلك، وهو ما عبر عنه الله تعالى في قوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ۝﴾ [طه: ٦٥].



(١) الكشف (٥٤٢/٢).

(٢) المصدر السابق (٣١٥/٣).

المبحث الثالث:

الضغوط الاقتصادية

لا تقلُّ الضغوط الاقتصادية عن الحربين النفسية والإعلامية خطورة، فحين لا تجدي الحرب النفسية تبدأ الحرب الإعلامية، وحين لا تجدي الحرب الإعلامية تبدأ الضغوط الاقتصادية، وربما اجتمعت الحروب كلها في آن واحد معاً كما في غزوة الأحزاب، وتتمثل الضغوط الاقتصادية في أمور، منها:

أولاً: تبرير الفقر والتردي الاقتصادي

يرى قادة حزب الشيطان أن الفقر قضاء وقدر، وذلك من أجل تبرير اكتنازهم للمال من جهة، والتردي الاقتصادي من جهة أخرى والذي يعيشه عامة الناس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا نَحْنُ بِشَاءِ اللَّهِ أَنْفِقُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ [يس: ٤٧].

ودأب هؤلاء الطغاة اكتناز المال الذي يحسبونه وسيلة السعادة والخلود، كما قال تعالى: ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُزْمَةٌ ﴿١﴾ الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدُوا ﴿٢﴾﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾﴾ [الهمزة: ١-٣]، وهم يحسبون هذا المال عن مستحقه من اليتامى والمساكين، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّتِي يَكْذِبُ بِالذِّبِّ ﴿١﴾﴾ فَذَلِكَ الَّتِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون: ١-٣]، ويرون أن تملكهم للمال وسيطرتهم عليهم سيجعل المسلمين ينفضون عن

نبيهم ﷺ، فهم يتعاملون مع الإنسان كما لو أنه جسد فقط بلا ضمير ولا روح!، ولا يبحث إلا عن لقمة العيش!، قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلََّ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُتَفِفِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٧﴾ [المنايقون: ٧].

وطالما أنهم أصحاب المال والسيطرة على السوق الاقتصادية فلا غربة من أن يسخروا من ضعف إمكانات المسلمين المادية، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧٩﴾ [التوبة: ٧٩].

ثانياً: الإنفاق ضد الحق

الغالب على أئمة الكفر الترف، فهم كانزون مكتزون، قال تعالى في صفة أهل النار: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الواقعة: ٤٥]، وعندما تقرر أئمة الكفر الإنفاق، فلن يكون للأرامل والأيتام، وإنما إنفاقاً ضد الهدى!، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [الأشغال: ٣٦].

وإنفاق المال ضد الدعوة إلى الله قديم، فهذا فرعون يعد السحرة بالأموال الطائلة والزلفى عنده إذا غلبوا موسى، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرُ إِنْ كُنَّا نَخُنُّ الْقَلِيلَ﴾ ﴿٤١﴾ [الشعراء: ٤١، ٤٢]. وهكذا نجد أن المال العام يحرم منه أهله ومستحقوه، ويكون موجهاً لحماية الأمن الفرعوني تحت شعار حماية مصلحة الأمة.

وقد يكون الإنفاق بقصد الرياء والشهرة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقًا لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لِمِ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ ﴿٢٨﴾ [النساء: ٢٨]، وعلى الحاليتين فالمال لا ينفق من أجل مسح الدموع والأحزان، وإنما ينفق ضد من جاؤوا لمسح تلك

الدموع والأحزان عن جبين الإنسانية من الرسل والأنبياء ﷺ تحت شعار حماية الأمة ومصالحتها الحيوية.

ثالثاً: تبرير التنافس الحر المجرد من الأخلاق

الأصل في العمليات الاقتصادية أن تكون محكومة بقواعد الأخلاق، وأن يكون المال وسيلة لبناء العلاقات الاجتماعية وليس لتفكيكها، بيد أن النهم لجمع المال بأي أسلوب كان يجعل حزب الشيطان يحلّ جمعه بأية طريقة كانت!، فمن ذلك الربا الذي يزيد الفقير فقراً، والغني غنى، وقد عمد إليه اليهود منذ القدم، وسعوا إلى جمع المال من كل السبل المحرمة، وقد كان هذا سبباً في تحريم الطيبات التي أحلت لهم، قال تعالى: ﴿فَيُطْلَمِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ وَيَصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخْذَهُمُ الرَّبُّوْا وَقَدْ بُرِّئُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

كما سجّل القرآن بعض الانحرافات الاقتصادية التي وقعت فيها الأمم الأخرى، ومن ذلك:

□ بغس الحقوق في الكيل والميزان ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوِرْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٥].

□ ومن ذلك اغتصاب حقوق الآخرين ظلماً وعدواناً، قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، ومن الظلم تلاعب بعض رجال الدين بأوامر دينهم بغية الاكتناز للمال، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَجَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ

وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُنَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ [التوبة: ٣٤].

رابعاً: الحصار الاقتصادي

عندما لا يجدي جمع المال واكتنازه بأيدي حزب الشيطان في صرف الناس عن الدعوة، أو تسخيرهم في الحرب ضد الدعوة لصرف الناس عنها، يأتي دور الحصار والمقاطعة الاقتصادية، وهو عمل لم يلجأ إليه حزب الشيطان إلا لصرف الناس عن هدي الأنبياء ﷺ، وفلسفة الحصار لا تتفق والدين، فمعلوم بأن الدين يؤيد الإنفاق في ساعات الشدة وأيام الجوع حرصاً على الإنسانية ورحمة بها، قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةُ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۚ فَكَرَبْتُ ۚ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ ۚ يَلِيماً ذَا مَقَرَبَةٍ ۚ أَوْ وَشَكَيْتُمْ ذَا مَرَبٍ ۚ﴾ [البند: ١١-١٦]، بيد أن أعداء الرسل ﷺ هم الذين يقومون بصنع الشدائد وتجويع الناس، وقد حاصرت قريش رسول الله ﷺ ومن يلوذ به في سنة سبع للبعثة، «قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً آمناً وقراراً، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمراً قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبدالمطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا واثتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم»^(١).

وفي خضم هذا الحصار تبرز عنجهية أبي جهل وفحولته الجاهلية، «وقد كان أبو جهل فيما يذكرون لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد،

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١٠١/٢)، دار الفكر، الطبعة الثانية.

معه غلام يحمل قمحاً، يريد به عمته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله ﷺ ومعه في الشعب، فتعلق به، وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاء أبو البختری بن هاشم بن الحارث بن أسد، فقال: مالك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال أبو البختری: طعام كان لعمته عنده، بعثت إليه فيه، أفتمنعه أن يأتي بطعامها؟ أخل سبيل الرجل. فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه^(١). إنها الجاهلية التي لا تقيم وزناً لكل القيم الإنسانية، ولا تحقق ذاتها إلا بالحق الأذى بالآخرين.



(١) السيرة النبوية لابن هشام (١١٣/٢)، دار الفكر، الطبعة الثانية.

المبحث الرابع:

ترويج جرائم الشرف والانحرافات الجنسية

يلجأ حزب الشيطان إلى المراهنة على إنسانية الإنسان، وذلك بإثارة غرائزه الحيوانية، وتهيجها من أجل قطع الطريق على الرسل ﷺ الذين يريدون تهذيب الغرائز الحيوانية، وإيقاظ الروح الإنسانية، وجعلها تنطلق حرة مرفقة نحو عالم الملكوت، ويعتمد حزب الشيطان الخطوات التالية:

أولاً: التجارة بالشهوات وإشاعتها

حب الشهوات فطرة في قلوب الناس، قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَنْعَمَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرَشِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ۝٤﴾ [آل عمران: ١٤]، بيد أن هذه المحبة تحتاج إلى التوجيه والتهذيب، وليس إلى الانفلات وراء الشهوات، ولكن حزب الشيطان يستغل حب الناس لهذه الشهوات، من أجل نشر الفساد الخلقي والاجتماعي، ونشر السعار الجنسي الذي يحطم القيم والأخلاق، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ۝٢٧﴾ [النساء: ٢٧]، ونتيجة لهذا الفساد المتولد من الانفلات وراء الشهوات الجامحة، تشيع الفواحش بين الناس، وهو ما تخطط له قوى البغي

والعدوان التي تستخدم مختلف الوسائل لإشاعة الفاحشة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩].

ثانياً: رمي المحصنات

وفي خطوة أخرى تعقب نشر الفواحش في المجتمعات الإنسانية، يبدأ حزب الشيطان في تدنيس سمعة المؤمنين الأطهار الذين لم ينزلقوا في مستنقعات الرذيلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

وقد اتهم بالفاحشة بعض من صفوة الله في خلقه، مثل السيدة مريم التي اتهمها اليهود بها، قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَعَقِيلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦، ١٥٧]، وقد صور القرآن سوء ظنهم واستعجالهم بالاتهام لمريم بالخطيئة، قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَبْرِمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [النساء: ١٥٧]، وَرَغِمَ تَبْرُؤُ اللَّهِ لِمَرْيَمَ فَقَدْ بَقِيَ الْيَهُودُ يَتَّهِمُونَهَا بِالْفَاحِشَةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

كما اتهمت عائشة أم المؤمنين عليها السلام أيضاً ظلماً وعدواناً، وأنزل الله في ذلك آيات تتلى يبرئ فيها عائشة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ [النور: ١١]. وهكذا حين لا يجد أعداء الهدى حجة يواجهون بها الرسل عليهم السلام، يلجؤون إلى تلويت سمعة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بقذف بعض زوجاتهم، أو من يلوذ بهم، بغية صرف الناس عنهم.

ثالثاً: محاولة الاغتصاب الجنسي

ومن أسوأ صور العدوان والحرب على الأنبياء عليهم السلام أن يزج بأحدهم في السجن لأنه لم يقبل الخيانة، ومحاولة الاغتصاب الجنسي لمن يلوذ بهم، وفي القرآن خبران عن هذا الأمر:



الأول: يتعلق بقصة امرأة العزيز التي تحاول أن ترغم فتاها يوسف ﷺ على الفاحشة معها وهو يرفض، فتعلن بكل صفاقة: ﴿وَلَقَدْ زَوَدْتُم عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴿يُوسُف: ٣٢، ٣٣﴾.

والثاني: يتعلق بقوم لوط، الذين بلغ من صفاقتهم أنهم حاولوا اغتصاب ضيوف نبيهم، وهو ما يرسمه المشهد التالي من الآيات القرآنية: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا إِلَيْهِمْ فَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوَّرُ هَؤُلَاءِ بِنَاقِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزَوْا فِي صَیْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنُفَّاكٌ مَا زُرَيْدٌ ﴿٧٩﴾﴾ [مُود: ٧٧-٧٩]، ولم يكن طلبهم للضيوف استجداء، وإنما كان عن طريق القهر والإجبار كما تصرح به الآيات التالية: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٧٦﴾﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزَوْا فِي الْآيَةِ الْآخِرَةِ، وفي تفسيرها يقول الزمخشري: «عن العالمين: عن أن تجير منهم أحداً، أو تدفع عنهم، أو تمنع بيننا وبينهم، فإنهم كانوا يعترضون لكل أحد، وكان يقوم ﷺ بالنهي عن المنكر والحجر بينهم وبين المتعرض له»^(١)، وهكذا لم يتورع أولئك الفجرة من حزب الشيطان عن إعلان رغبتهم في العدوان الجنسي على ضيوف نبيهم، وهو إجرام يستحق عقوبة السماء، حيث جعل الله قريتهم عليها سافلها، وإنه لعقاب لم نعهد أحداً عوقب به غيرهم.



(١) الكشاف (٢/٥٨٥).

المبحث الخامس:

التصفية المادية الشاملة للوجود الديني

تشمل التصفية الشاملة إنهاء الوجود الفعلي لحزب الله من الأنبياء والمرسلين ﷺ وأتباعهم على المستوى الفردي والجماعي، وتدمير بيوت العبادة، وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً: هدم دور العبادة

ويبدأ الطريق إلى ذلك بالصدّ عن دور العبادة وفي مقدمتها المسجد الحرام الذي جعل الله فيه أول بيت وضع للناس، وهذا هدم معنوي لتلك الدور لتكون مقفرة من الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الحج: ٢٥].

يلي ذلك السعي في هدم المساجد، وطرد مرتاديها منها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمُى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانُوا لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ [البقرة: ١١٤].

وربما حاول أئمة الكفر هدم أفضلها وأعظمها وهو المسجد الحرام الذي فيه الكعبة المشرفة، كما في محاولة أبرهة الحبشي الذي أهلكه الله تعالى قبل البعثة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١].

يَجْعَلُ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِيلٍ ﴿٤﴾ لِّجَعْلُهُمْ كَعْصِفَ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴿[الفيل: ١-٥]﴾.

وقد تقتضي مصلحة المفسدين بناء المساجد للدعاية والأذى، لتكون شركاً يصطادون فيه الأنبياء ﷺ ويقتلونهم، كما هو حال مسجد ضرار الذي بناه المنافقون لاغتيال النبي محمد ﷺ عند صلاته فيه، وفيه يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِصْرًا إِذْ يَمُنَّ حَارِبُكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿[التوبة: ١٠٧]﴾.

ثانياً: التصفية الجسدية

التصفية الجسدية تبدأ من التعذيب، وتنتهي بالقتل والإبادة، والتعذيب مهما تكن أسبابه أمر معيب ابتليت به البشرية، روى هشام بن عروة، عن أبيه، أن هشام بن حكيم مرّ بالشام على أناس من الأنباط - فلاحه الأعاجم - وقد أقيموا في الشمس، وصبّ على رؤوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون في الخراج. فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»^(١).

وإذا كانت الشرائع السماوية تفرض تعذيب الناس، فإن شرائع الطاغوت الوضعية تقرّه وتبرّره، ولا سيما بحقّ المؤمنين والصالحين، وأول من لقي التعذيب في سبيل الله، هم الأنبياء والمرسلون ﷺ، فهذه أم جميل امرأة أبي لهب تؤذي رسول الله ﷺ، فينزل فيها قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُ حَمَلَةَ الْخَطْبِ ﴿١﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسِئٍ ﴿٢﴾﴾ [المسد: ٥، ٤]، قال ابن عباس والضحاك: «كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ»^(٢)، وقد كان رسول الله ﷺ يستحضر صور الأنبياء من قبله وما لاقوه من الأذى

(١) رواه مسلم، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني (١٠٤٥/٣).

(٢) مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني (٦٩٠/٣).

فيخفف ذلك عنه، روى ابن مسعود، قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(١).

ويتعدى الإيذاء الأنبياء ﷺ ليشمل أتباعهم، فهم يعذبون إلى حد ينطقون فيه بالكفر مرغمين، وقد نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]، نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ، فوافقهم على ذلك مكرهاً وجاء معتذراً إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية^(٢)، وقد لاقى المسلمون في عهد النبي ﷺ من العنت والمشقة ما لم يلقه غيرهم، ويصف ابن عباس ما كان يلاقه المسلمون من عذاب قريش فيقول: «والله إن كانوا ليضربون أحدهم، ويגיעونه، ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: آلات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، حتى إن جعل ليمر بهم، فيقولون له: أهذا الجعل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده»^(٣).

□ يلي التعذيب: السجن، وهو تعذيب نفسي وروحي للإنسان، وقد ابتلي به الأخيار والصالحون فأعانهم الله، فهذا يوسف يحبس بتهمة هو بريء منها، قال تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]، وهذا فرعون يتوعد موسى ﷺ، فيقول له: ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]. هكذا القضية إذاً إجبار على الشرك، أو عقوبة في السجن، ولا منزلة ثالثة بينهما!

(١) متفق عليه، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني (١٤١٦/٣).

(٢) مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني (٣٤٨/٢).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٦٨/٢ - ٦٩)، دار الفكر، الطبعة الثانية.

□ عقب السجن يأتي القتل، وهو أسلوب يلجأ إليه أعداء الرسل والأنبياء ﷺ للتخلص من الأنبياء والمرسلين ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَذِمْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ومعنى ليثبتوك: ليسجنوك، أو يوثقوك، أو يشنوك بالضرب والجرح^(١)، فقد حاول أعداء النبوة قتل النبي محمد ﷺ، ولكنهم فشلوا، وقد تعرض النبي ﷺ لعدد من محاولات القتل في المعارك وغيرها، فنجاه الله من ذلك، وتكررت المحاولة لقتله ﷺ مرة أخرى بواسطة السم، وقدمت امرأة يهودية شاة مسمومة إلى النبي ﷺ يوم خيبر، فلما سألها عن سبب ذلك، قالت: إن كنت نبياً لم يضرّك، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه، فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها، وتوفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة^(٢).

وقد سرى السم في جسده الشريف، وبقي أثره حتى وفاته عليه الصلاة والسلام، فكان في سلك الشهداء، وجمع الله له أجر النبوة والشهادة معاً، «قال الأزهري: قال جابر: واحتجم رسول الله ﷺ يومئذ، حجمه مولى بني بياضة بالقرن والشفرة، وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين، حتى كان وجعه الذي توفي فيه، فقال: «ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عداداً، حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري» وتوفي رسول الله ﷺ شهيداً^(٣)، ونقل ابن إسحاق عن مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى قوله في التعقيب على محاولة المرأة اليهودية سم النبي ﷺ يوم خيبر: «فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً، مع ما أكرمه الله من النبوة»^(٤).

(١) الكشف (٢/٢١٥).

(٢) مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني (٢/١٦٦٧ - ١٦٦٨)، الحديث رقم (٥٩٣١)، وقد رواه أبو داود والدارمي، قال الألباني: وهو حديث صحيح.

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير (٤/٢١٠).

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام (٤/٤٤).

وأول من قتل من أتباع النبي محمد ﷺ كانت سمية أم عمار بن ياسر، أول شهيدة في الإسلام، وقتلها أبو جهل لعنه الله^(١).

وقد تعرّض الأنبياء السابقون ﷺ لمحاولات القتل، فهذا فرعون يريد موافقة من حوله على قتل موسى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ [غافر: ٢٦]، ويأتي رجل ناصح ليقول لموسى: ﴿يَكُفِّرُ بَكَ أَلَمَّا يَتُوبُونَ بِكَ لَيَقْتُلُونَكَ﴾ [القصاص: ٢٠]، ولم تكن فكرة القتل مقصورة على قتل موسى ﷺ، بل تجاوزت إلى قتل أبناء المؤمنين معه، من أجل وضع الألم والحرقة في نفوس المؤمنين من الآباء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَيْنَا فِرْعَوْنَ وَهَمَجَنَ وَقُرُونِ فَقَالُوا سَجَرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: ٢٣-٢٥].

ويبدو أن عقدة القتل انتقلت من الفراعنة إلى اليهود، فإذا بهم بعد أن مكّن الله لهم في الأرض يقتلون الأنبياء ﷺ ظلماً وعدواناً، حتى صار ذلك جبلة فيهم، وطبعاً لهم، وإلى هذا تشير آيات كثيرة من القرآن الكريم، فهم ينسبون إلى أنفسهم قتل المسيح الذي نجاه الله منهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٧]، وهم يقتلون كل نبي لا يوافق هواهم، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، ودافعهم للقتل هذا العصيان الذي تمرغوا فيه، قال تعالى: ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ وَالسَّكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ

(١) الروض الأنف، للسهيلى (٧٨/٢).

يَأْتَهُمْ كَأَنُورًا يَكْفُرُونَ يَأْتِيَتِ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ [البقرة: ٦١].

وقد اشتهر اليهود بقتل الأنبياء ﷺ وأتباعهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَأْتِيَتِ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٦١﴾ [آل عمران: ٢١]، وهذه الآية نزلت فيهم، وقد روى ابن أبي حاتم وابن جرير عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي عبيدة بن الجراح: «يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلاً من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف، ونهوه عن المنكر، فقتلوه جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم، فهم الذين ذكر الله ﷻ»^(١).

وهذا التاريخ الدموي لبني إسرائيل يجعلهم يستكبرون عن اتباع النبي العربي محمد ﷺ، فهم كما قال الله عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحِيدٌ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَكَفَرُوا بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦١﴾ [البقرة: ٩١].

ولا يقتصر قتل المشركين للمؤمنين وحدهم، بل يتجاوزهم إلى قتل الطفولة البريئة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَغَيْنَاكُمْ مِنْ ءَالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَعْيِفُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِمَّنْ رَزَقَكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤٩﴾ [البقرة: ٤٩]، هذا في بني إسرائيل، وأما العرب فحسبك بأن بعضهم كانوا يثدنون بناتهم، وهو جرم عظيم يدل على قلوب سوداء!، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سَأَلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩]، وربما قتلوا أولادهم خشية الفقر، وقد نهاهم الله عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني (١/٢٧٤).

□ ومن عقوبة القتل إلى عقوبة الرجم، قال الراغب: «الرَّجَام: الحجارة، والرجم: الرمي بالرجام، يقال: رُجم فهو مرجوم»^(١) وهو صورة مهينة من صور القتل، حيث يرمى المقتول بالحجارة إلى حد الموت، وقد هذت أم كثيرة أنبياءها بهذه الميته الشنيعة، فهذا نوح عليه السلام يقول له قومه متوعددين: ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَنْتُحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]، وهذا إبراهيم عليه السلام يتوعده أبوه بالرجم، فيقول له: ﴿أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْئَةِ يَنْتَهِيهِمْ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ لَا رَحْمَتَكَ﴾ [مریم: ٤٦]، وقد فسر الرجم هنا بالشتم والذم وهو قول ابن عباس، أو الرمي بالحجارة، أو الطرد^(٢)، وهذا شعيب عليه السلام يمن عليه قومه بعدم رجمه، وذلك بسبب وجود أتباع له لا تكريماً لمقامه، فيقولون بكل صفاقة: ﴿يَنْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]، وهذا موسى عليه السلام يستعيز بالله من الرجم وهو يواجه فرعون وملاه، فيقول: ﴿وَإِنِّي عِدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكَ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠]، وهؤلاء الرسل الذين أرسلهم الله إلى إحدى القرى يتهددهم أهل القرية بالرجم، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس: ١٨].

ولا يقتصر التهديد بالرجم على الأنبياء عليهم السلام، بل قد يعاقب به المؤمنون أيضاً، ولذلك كان الخوف من الرجم يذب في كيان أهل الكهف، وهم فتية من المؤمنين الصالحين، حيث قالوا بعد نوم طويل لم ينسهم طغيان قومهم: ﴿إِنَّمَا إِنَّا بَظُهُرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٠].

□ ومن أساليب التصفية الجسدية: الحرق، وقد ابتلي به إبراهيم عليه السلام، حين قرّر قومه بأن يعاقبوه عقوبة لا يعاقب بمثلها إلا الله

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة (رجم).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة (رجم)، والكشاف للزمخشري (١٤/٣)، ومختصر تفسير ابن كثير للصابوني (٤٥٤/٢).

رب العالمين، قال تعالى: ﴿قَالُوا خَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٦٨) ﴿قُلْنَا بَنَارُ كُوفٍ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩) [الأنبياء: ٦٨، ٦٩]، وهناك آية أخرى تبين تردد قومه بين أن يقتلوه أو يحرقوه، بيد أنهم اختاروا الأشد والأنكى وهو الحرق، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

□ ومن أساليب التصفية الجسدية: الصلب، وهو تعليق الإنسان للقتل، قيل: هو شدُّ صلبه على خشب، وقيل: إنما هو من صلب الودك^(١)، وقد توعد به فرعون السحرة حين أعلنوا إيمانهم بالله وأتباعهم لموسى وهارون ﷺ، يقول تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٧٠) ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَايِرُ الَّذِينَ عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تَقْطَعُونَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (٧١) ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢) [طه: ٧٠-٧٢].

□ ومن أساليب التصفية الجسدية: إخراج الداعية من وطنه، وقد توعدت كثير من الأمم أنبياءها بالنفى والإخراج الإجباري، وهو عقاب عام لكل الرسل ﷺ من أقوامهم كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣].

وقد جاءت حكاية التوعد بالإخراج مفصلة عن عدد من الأقوام، فمنهم قوم لوط عليه السلام، وكانوا يتعاطون الفواحش القبيحة، ويرفضون مواطنة من لم يتعاطاها معهم!، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠) ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (٨١) ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة (صلب).

قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطَلُهُرُونَ ﴿٨٢﴾ [الأعراف: ٨٠-٨٢]،
وتصور آية أخرى بلادة قومه وحسهم الغليظ حين قرروا إخراج لوط وأهله
بسبب طهارتهم!، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا
عَالِ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطَلُهُرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النمل: ٥٦].

ومنهم قوم شعيب عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ أَمْلَأْ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ
قَوْمِهِ لِنُخْرِجَكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُدَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَفَرْتُمْ
كِرْهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَعَثْنَا اللَّهُ مِنْهَا﴾
[الأعراف: ٨٨، ٨٩].

وكذلك سعى كفار قريش لإخراج النبي محمد ﷺ، قال تعالى:
﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْفِزُوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: ٧٦]، ومعنى
الاستفزاز: الإزعاج، أي كاد أهل مكة ليزعجوك بعداوتهم ومكرهم لتخرج
من أرض مكة^(١)، وقد تمّ للمشركين ما أرادوا فأخرجوا الرسول ﷺ من
أرض مكة، وأخرجوا معه صحابته الكرام، وجريرتهم جميعاً بالإيمان بالله
وحده!، وفي هذا قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾
[المنحة: ١]، وضيق قريش على من بقي من المؤمنين المستضعفين بمكة،
حتى صارت أكفهم ترتفع إلى الله، وألستهم تلهج بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا
مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥].

والإخراج من الأوطان جريمة كبرى، قال تعالى: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِيهِ مِنْهُ
أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ
دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، قال الزمخشري: «الفتنة: الإخراج
أو الشرك...» ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾: إخبار عن دوام عداوة الكفار
للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها، حتى يردوهم عن دينهم، وحتى معناها

(١) انظر: الكشف (٢/٦٨٥).



التعليل، كقولك: فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة، أي يقاتلونكم كي يردوكم^(١)، ومثل هذه الجريمة ربما كانت أسوأ من القتل، قال تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، قال الزمخشري: «أي المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل، وقيل لبعض الحكماء: ما أشد من الموت؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت، جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت»^(٢).

وحتى لو هاجر المؤمن وترك بلاده لحزب الشيطان، فإن حزب الشيطان سيتعقبه في هجرته، ويطلب استرداده من غربته، ليوقع به الهوان والأذى!، وهو ما حصل لمن هاجروا إلى الحبشة، «قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينهم أن يعيشوا فيهم منهم رجلين من قريش جليدين إلى النجاشي، فيردوهم عليهم ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبدالله بن أبي ربيعة، وعمر بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارفته، ثم بعثوهما إليه فيهم»^(٣)، وهكذا أصبح البلاد وكأنها بلادهم وحدهم، ويصبح جند الله في العراء!.

□ ومن الجرائم التي يرتكبها حزب الشيطان: تهديد الأمن العام كقطع الطرق مثلاً، وفي هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ [المائدة: ٣٣]، وقطع الطريق هو من عمل قوم لوط، قال تعالى: ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُبْنَا

(١) الكشف (٢٥٩/١).

(٢) المصدر السابق (٢٣٦/١).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٨٦/٢)، دار الفكر، الطبعة الثانية.

يَعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ [الغنكوت: ٢٩]، قال الزمخشري: «قطع السبيل: عمل قطاع الطريق من قتل الأنفس وأخذ الأموال»^(١).

وبعد: فهذه هي طريق الأنبياء والرسل ﷺ، شوك وابتلاء، ومحن وشدائد، لا يرتاح المؤمن منها إلا عندما يلقي ربه، قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، قال الزمخشري في تفسير الآية: «والبلاء في الأنفس: القتل والأسر والجراح، وما يرد عليها من أنراغ المخاوف والمصائب، وفي الأموال: الإنفاق في سبيل الخير وما يقع عليها من الآفات، وما يسمعون من أهل الكتاب من المطاعن في الدين الحنيف، وصد من أراد الإيمان، وتخطئة من آمن، وما كان من كعب بن الأشرف في هجائه لرسول الله ﷺ، وتحريض المشركين، ومن فنحاص، ومن بني قريظة والنضير»^(٢).

ثالثاً: الإبادة الجماعية

عندما يعجز حزب الشيطان عن تصفية الرسل والأنبياء ﷺ، وعندما تنتشر الدعوة انتشار الضوء في السماء، يلجأ حزب الشيطان إلى التصفية الجسدية الشاملة، أو بتعبيرنا العصري: «المحرقة».

فقد يتخذون قراراً جماعياً بالقتل، كما هو الحال مع موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠]، وقد يسعون إلى التفرقة بين الطوائف ليقتل بعضها بعضاً، كما صنع فرعون، قال تعالى: ﴿إِنَّ

(١) الكشف (٤٥٢/٣).

(٢) المصدر السابق (٤٤٩/١ - ٤٥٠).



فَرَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَمَلُهَا شَيْعًا يَسْتَصِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ
وَيَسْتَنجِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ [القَصَص: ٤]، ومما جاء في
معنى الآية أنه جعلهم «فرقاً مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل
والقبط، والطائفة المستضعفة: بنو إسرائيل»^(١)، وقد يبطشون أو يضربون بيد
من حديدا، قال تعالى في وصف الظلم الفرعوني: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ
فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمُهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ
وَيَسْتَنجِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٧﴾ [الاعراف: ١٧]، وربما ألبسوا
ظلمهم مظهر الوطنية والحرص على الناس، وذلك كما حاول فرعون، قال
تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رِبِّهُ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ
دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ [غافر: ٢٦].

وربما عمدوا إلى إشعال الحروب والتضحية بالأبرياء كما هو دأب
اليهود، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ
فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ [المائدة: ٦٤].

وقد لا يعتبر قادة حزب الشيطان بالمعجزات الظاهرة أمام أعينهم في
سبيل القضاء على خصومهم من المرسلين ﷺ، فتجد أحدهم مثلاً وهو
فرعون يلاحق بجيشه موسى ومن معه رغم انفلاق البحر لموسى ﷺ!،
قال تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ﴿٩٠﴾ [يونس: ٩٠].

ومن أسوأ صور المحرقة: الإبادة الجماعية لشعب آمن بالله، وهو
الذي قصته سورة البروج، وهذا مقطع منها يصور الكارثة، قال تعالى:
﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَتَضْحَكُونَ ﴿٤﴾
أَلَا نَارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُعُودٌ ﴿٧﴾
وَمَا تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَاللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩١﴾ [البُزُوج: ٩-١]، ولهذه الآيات قصة عجيبة، فقد روى صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبر سني وحضر أجلي، فادفع إليّ غلاماً لأعلمه السحر، فدفعت إليه غلاماً كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب، فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه، وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه، وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر»، قال: «فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم: أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر؟» قال: «فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس. ورمها فقتلها، ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك، فقال: أي بني أنت أفضل مني، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس فعمي، فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: اشفني ولك ما هاهنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحداً، إنما يشفي الله ﷻ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك، فآمن، فدعا الله فشفاه، ثم أتى الملك، فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال الملك: يا فلان! من ردّ عليك بصرك؟ فقال: ربي! فقال: أنا؟ قال: لا، ربّي وربك الله. قال: ولك ربّ غيري؟ قال: نعم، ربّي وربك الله. فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الغلام، فبعث إليه فقال: أي بني! بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أحداً، إنما يشفي الله ﷻ. قال: أنا؟ قال: لا. قال: ولك ربّ غيري؟ قال: ربّي وربك الله. فأخذ أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دلّ على الراهب، فأتى بالراهب، فقال: ارجع عن دينك. فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، حتى وقع شقاه إلى الأرض، وقال للغلام: ارجع عن دينك،



فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدوه، فذهبوا به، فلما علوا به الجبل، قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فدهدوه أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فبعث به مع نفر في قرقور، فقال: إذا لججتم به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر، فلججوا به البحر، فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلتي، وإلا فإنك لن تستطيع قتلي، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهماً من كناتي، ثم قل: باسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتي، ففعل، ووضع السهم في كبد قوسه، ثم رماه، وقال: باسم الله رب هذا الغلام، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم، ومات، فقال الناس: آمناً برب الغلام. فقيل للملك: أرايت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك، فقد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك فخذت فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه، وإلا فأقحموه فيها، قال: «فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكانها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماء فإنك على الحق»^(١).

وهذا الحديث يبين مدى الظلم والإرهاب الذي تمارسه بعض السلطات الغاشمة ضد الإيمان، فالملك الكافر لم يكتف بما آتاه الله من الملك والنعمة، فادّعى الربوبية، ليكون مصدر السلطات كلها لشعبه!، وحين انكشف عواره، وانفضح أمره، على يد غلام كان قد رشحه لتعلم السحر،

(١) أخرجه أحمد، ورواه مسلم والنسائي بنحوه، انظر: مختصر تفسير ابن كثير، للصاوي (٦٢٣/٣ - ٦٢٤).

ليكون أداة طيعة له، يستخدمها لتسويق الكفر والدجل، انسلخ من إنسانيته، وتجرد من كل مشاعر الرحمة والخير، ودفعته غريزة الانتقام إلى إحراق شعبه، ولكن ليس ثمة بأس من هذا كله، فقد انتصرت العقيدة، وهوى الصنم، حتى إن الطفل الرضيع ليقول لأمه: اصبري إنك على الحق، فالموت في سبيل العقيدة خير من الحياة بدونها.

وإذا كان الطغاة لا يتورعون عن حرق الناس وإيذائهم، لأن مناهجهم وعقولهم وسلوكهم يقوم على التعسف والظلم والأذى فإن المنهج الرباني بعكس هذا كله، فهو منهج برٍّ ورحمة وإحسان للكائنات جميعاً، وهو يرفض أساليب القتل الجماعي مثل الحرق ابتداءً، بل إنه ليرفض أيضاً حتى إيذاء بعض الحشرات التي تسبّح الله مثل النمل ناهيك عن الإنسان، روى أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قرصت نملة نبياً من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله تعالى إليه: أن قرصتك نملة فأحرقت أمة من الأمم تسبّح؟» متفق عليه، وزاد في مسلم: «فهلأ نملة واحدة!»^(١)، هكذا يعلم الله نبيه بأن لا يبادر للقتل الجماعي حتى ولو كان المقتول هو النمل الذي تسبب بالأذى لذلك النبي، وهنا ينجلي الفرق الشاسع بين دين الله الذي يحرم الظلم وبين مناهج الطاغوت التي تبرر العدوان أحياناً لمجرد العدوان!

ونختم هذا الموضوع بالحديث عن الفكر العدواني والأسلوب الإرهابي الذي لقيه النبي الأمي ﷺ من قومه، قد كانوا لا يخافون من ربهم، وإنما من قعقة السلاح، ولذلك وصّى الله نبيه والمؤمنين بالحدّ الدائم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِكُمْ فَيَبْسُوتُ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢]، ويبيّن له بأنهم أصحاب سلوك إرهابي عند النصر، قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْبُؤُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا

(١) متفق عليه، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني (١٢٠٢/٢)

ذِمَّةٌ يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأَنَّى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِعَاهِدِ اللَّهِ نَعْمًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْجُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْتَدُونَ ﴿١٠﴾ [الثَّوْنَةُ: ٨-١٠]، ومعنى الإل: الحلف والعهد، وقيل: القرابة^(١)، وأما هدفهم من الحرب فهو تصفية الدعوة ورجالها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ﴿١٧﴾ [الأنفال: ٤٧]، قال الزمخشري: «هم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير، فاتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة: أن ارجعوا فقد سلمت عيركم، فأبى أبو جهل، وقال: حتى نقدم بدرًا، نشرب بها الخمر، وتعزف علينا القيان، ونطعم بها من حضرنا من العرب»^(٢).

وقد ساعد المشركين طابور المنافقين الذين يتخاذلون عند الشدائد، ويبشون الرهن في نفوس المؤمنين، فهم كما وصفهم الله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٣﴾ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْظُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَلَعَبَ اللَّهُ عَمَلُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٤﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَثْنُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٥﴾ [الأحزاب: ١٨-٢٠].

وفي غزوة الأحزاب تكالبت كل قوى الأرض على المؤمنين ونبئهم فنصرهم الله تعالى بعد محنة ومصابرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ﴿١﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ

(١) الكشف (٢/٢٥٠).

(٢) المصدر السابق (٢/٢٢٧).

وَلَبَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَنظُنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ [الاحزاب: ٩-١١].

ولا يزال هذا ديدن حزب الشيطان، وهو قتال المؤمنين حتى النهاية، قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وهم البادئون بالعدوان، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ولن يتورعوا عن الحشد الجماعي للمعركة ضد المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهم على الاستعداد التام للمعركة، يتحصنون للقتال، قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]، ويأخذون بأسباب القوة المادية، حتى إنهم ليعتمدون عليها دون الله، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا لَّئِيْلَ الَّذِينَ يَدْعُونَهم مَعَ رَبُّهم لِيُجِيبُواهم﴾ [الحشر: ٢]، وهم عند الظفر لن يتورعوا عن الفتك والإبادة، قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَفَقَّهْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]، ومعنى يشفقوكم: يظفروا بكم ويتمكنوا منكم^(١)، فإذا ظفروا كانت المجازر الجماعية، والأعمال الوحشية، حتى إنهم ليمثلون بالجثث، ويبقرون بطون الحوامل من النساء!

وعلى العكس من هذا كله سلوك المؤمنين الموحدين، فدينهم يمنعهم من الفتك، روى أبو هريرة، عن النبي ﷺ قال: «الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن»^(٢)، بل إن دينهم ليأمرهم بالأخذ على أيدي الظالم ولو كان أخاً أو قريباً وردّه إلى الحق، فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر

(١) الكشف (٤/٥١٣).

(٢) رواه أبو داود، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني (٢/١٠٥٣).



أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله! أنصره مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال: «تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه»^(١)، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه سلوك حزب الله في الأرض، وهو أن تكون الجماعة المؤمنة مصدر الخير والإحسان والالتزام بمنهج الله في هذا العالم المتخبط في الظلمات، فعن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطئوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أسأؤوا فلا تظلموا»^(٢).

وقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على أن يعلم أصحابه قواعد الخلق والرحمة حتى وهم يتوجهون للجهاد في سبيل الله، فعن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا فلا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأبتنهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم...»^(٣)، ولا عجب أن يوصي الرسول الكريم بترك الظلم والابتعاد عنه في كل الحالات، أليس هو القائل: «الظلم ظلمات يوم القيامة»^(٤)؟



(١) متفق عليه، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني (٣/١٣٨٥).

(٢) رواه الترمذي، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني (٣/١٤١٨).

(٣) رواه مسلم، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني (٢/١١٥٠).

(٤) متفق عليه عن ابن عمر، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني (٣/١٤١٧).

الخاتمة

تبين لنا من خلال هذا البحث بأن الناس حزبان: حزب الله وحزب الشيطان، والحزب الأول هو حامل لواء الحق، وهو قوي بربه، ضعيف بإمكاناته المادية. وأما الحزب الثاني، فهو حامل لواء الهوى والتمرد على سلطان الله في هذه الأرض، راياته كثيرة، وفحواها واحد، وهو حزب ضعيف بحجته، قوي بإمكاناته المادية.

والصراع بين الحزبين قائم عبر التاريخ وإلى قيام الساعة، حيث يستخدم الحزب الأقوى عادة بإمكاناته المادية كافة سبل الظلم والإرهاب بأشكاله المتعددة من: نفسية، وإعلامية، واقتصادية، وأخلاقية، وحربية متمثلة بالتصفية الجسدية الشاملة، وذلك من أجل القضاء على حزب الله، ولا يتورع حزب الشيطان عن إقامة محرقة شاملة لكل من آمن بالله واليوم الآخر.

وقد كان سلاح الأنبياء والمرسلين ﷺ هو الدعوة بالحسنى، والكلمة الطيبة، والالتجاء إلى الله، وربما قُتل بعضهم ظلماً وعدواناً، فنال إحدى الحسينين وهي الشهادة في سبيل الله تعالى، وربما دافع بعضهم عن نفسه وأصحابه بما رزقه الله من حيلة، ولكن النصر كان حليفهم في النهاية، لأن الله معهم، والحقيقة في صدورهم، والحق على ألسنتهم، والخير في أيمانهم، والنور في وجوههم، والصواب في مناجاتهم، والفضيلة في نذائهم، وقد ثبتوا على دينهم حتى لقاء بارئهم بلا تغيير ولا تبديل ولا تحريف، وقد انتقم الله من ظالمهم في الدنيا، وسوف ينتقم منهم في الآخرة، قال تعالى:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝﴾

[غافر: ٥١].



وإذا كانت ثمة أمنية في نهاية هذا البحث، فإننا نودُّ وقد بلغت البشرية طور الرشد وأخذت بأسباب العلم والتقدم أن يعيش الناس أحراراً ولو يوماً واحداً في هذا العالم تحت لواء الحرية التي هي أئمن ما في الوجود، وليتذكروا جهاد الأنبياء وصبرهم وما لاقوه من أذى الطواغيت، لعلَّ البشر إذا عاشوا أحراراً، يرفضون العبودية إلا لله ربِّ العالمين، وينتهي الظلم والعدوان الذي يمارسه الناس بحقَّ بعضهم البعض، وأكثر ما يمارسونه ضد أتباع الرسل والأنبياء ﷺ من المستضعفين في الأرض.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، دار الفكر.
- الروض الأنف للسهيلي، دار الفكر، الطبعة الثانية.
- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مؤسسة علوم القرآن.
- السيرة النبوية لابن هشام، دار الفكر، الطبعة الثانية.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الكشاف للزمخشري، صححه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.
- مشكاة المصابيح للتبريزي، بتحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، إستانبول، ١٩٨٤م.
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

